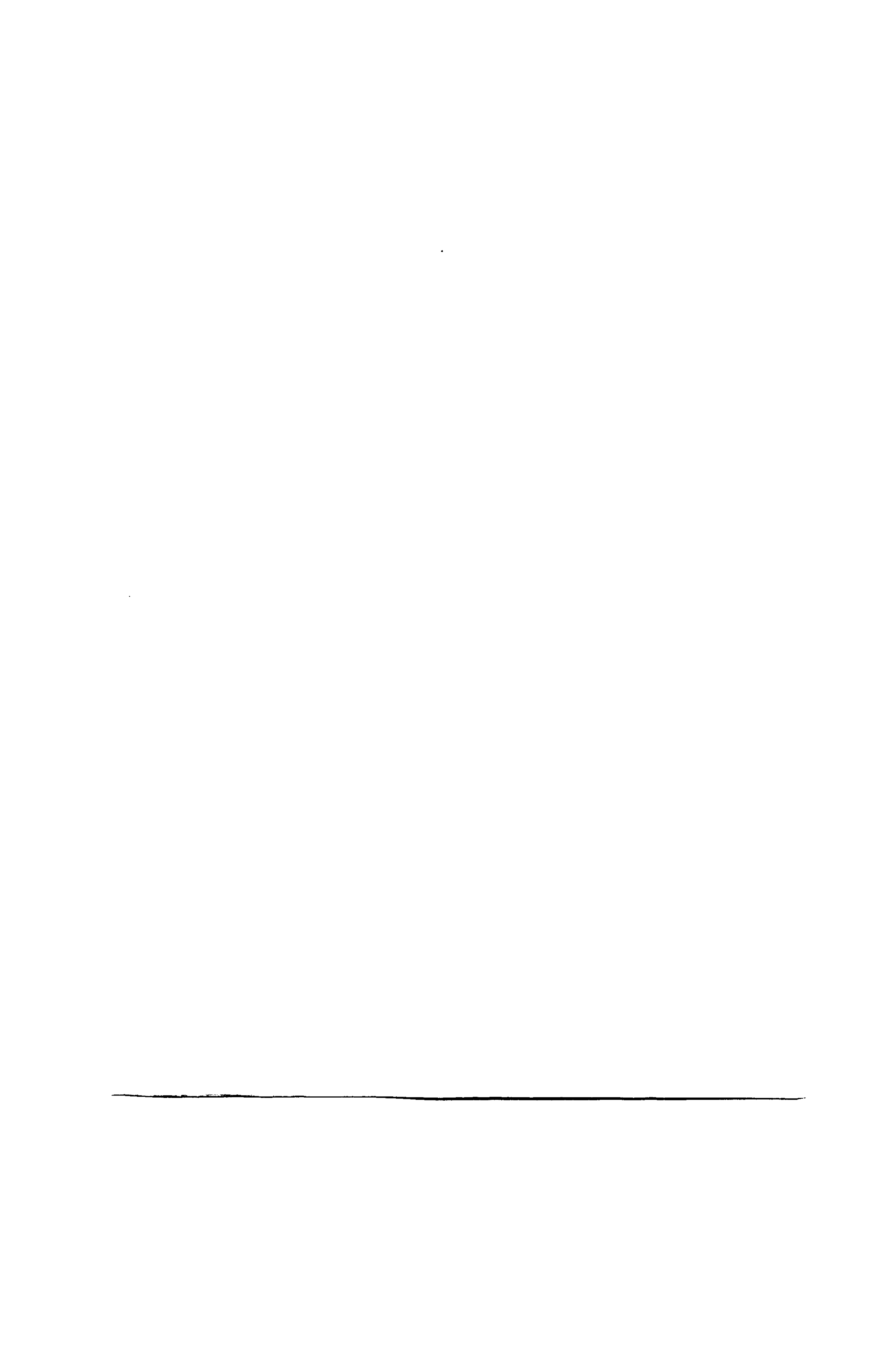
دكتور
محمد الأنور حامد عيسى

من أبعاد الغزو الفكري



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، أرسل رسوله محمداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله وحبيبه . بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد فى الله حق جهاده .

صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الأطهار البررة

وبعـــد :

فما لاشك فيه أن الإسلام والمسلمين يتعرضان معاً فى كل لحظة من لحظات الزمن ، وفى كل بقعة من الارض ، لغزو فكرى. تتعدد أبعاده.

ومع تعدد الأبعاد تتعدد الوسائل . لكن الأهداف واحدة .

وهذه السطور تتناول بالدراسة والتحليل والنقد أبعاداً ثلاثة من هذه الأبعاد وهى : —

أولا : — البعد المذهبى ويعمل أصحابه جاهدين على علمنة كل شىء . أى طمس معالم الدين الحق ، وإبعاد المجتمع المسلم عن قيمه الدينية ، أو على أقل تقدير عزل الدين عن الحياة ، وحصره فى إطار المسجد والشعائر التعبدية .

والترويج لأفكار مثل : أزلية المادة وأبديتها ، وعدم وجود الخالق

ونشأة الإنسان عن طريق النشوء والارتقاء، واعتبار المادة هي كل شيء، والقول بأن الدين خرافة، وأنه لاوجود إلا للمحسوس، وأن العقل وحده قادر على معرفة كل أسرار الكون إلخ

ثانياً : — البعد اليهودي : ويمكننا القول بأن لليهود اليد الطولى، وهم البعد الأشد خطراً في الغزو الفكري.

ونقول إن لليهود اليد الطولى لامتداد تأثيرهم الفكري في الماضي والحاضر والمستقبل، وعملهم في إنشاء المذاهب الفكرية، والترويج لها. ومحاولة توجيه كل أبعاد الغزو لقهر المسلمين. والتشويش على عقائدهم. وتحويل مسار الفكر في العالم لخدمة المصالح اليهودية.

ثالثاً : — البعد الاستشراقي. ويقوم المستشرقون من خلاله بالتعامل المباشر مع الثقافة الإسلامية. تحقيقاً وتأليفاً وترجمة وتدريساً. ويمكنهم هذا التعامل من إسقاط أو إدخال مايريدون، مع تغليفه بثوب منهجي.

كما يقومون بدراسة كل مايتصل بالشرق، وبخاصة كل مايتصل بالإسلام والمسلمين.

وهدفهم التعرف على الإيجابيات لإمداد بني قومهم بها، ثم العمل على اضعافها في الأمة الإسلامية.

والتعرف على السلبيات لمحاولة تجنبها، ثم تعميقها بين المسلمين، وفتح الثغرات من خلالها لقوى التبشير والاستعمار، للانقضاض على مقدرات المسلمين.

هذا وقد بدأت الدراسة ببيان أثر الفكر على الإنسان، وبذكر بعض الصور للغزو الفكري وبيان أهدافه

والدراسة في مجملها تهدف إلى تعريف المسلم ببعض أبعاد الغزو في

صورة موجزة .. وترجىء الكلام فى التفصيلات لبحث آخر إن شاء الله تعالى .

والله سبحانه وتعالى من وراء القصد .

[ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار]

مدينة نصر

الجمعة فى { ٣ نوفمبر ١٩٨٩
٤ من ربيع الآخر ١٤١٠ }

د / محمد الأنور حامد عيسى

مدخل ضرورى

١ — أثر الفكر فى حياة الإنسان

يتميز الإنسان عن بقية المخلوقات بأنه كائن حر الإرادة . فهو وحده بحرية مطلقة يتحرك بين البدائل المختلفة ، ويختار منها مايريد لنفسه .

والإرادة فى الإنسان تابعة للعقل ، ومع سلامة العقل تسلم الإرادة وتكون سلوكيات الإنسان فى الغالب صحيحة

ومع حدوث بعض الخلل فى العقل تختل الإرادة ، وبالتالى تكون سلوكيات الإنسان غير منضبطة .

والعقل كقوة فى الإنسان يكون الأفكار عن الوجود وما وراء الوجود بالاستقراء المستمر للأشياء ، والتعرف على العلاقات الكائنة بينها ، والبحث عن الأسباب والمسببات .

ومع سلامة الأفكار التى كونت ، والوصول إلى القناعة الكاملة بها تتحول هذه الأفكار إلى عقيدة تسيطر على حركة الإنسان ، وتحكم كل سلوكياته ، وتؤثر فى كيانه ، وتتحكم فى طاقاته . بل تدفعه أحياناً إلى تقديم روحه رخيصة من أجل الدفاع عن المعتقد .

ولو حاولنا أن ننظر إلى ذواتنا نظرة متأنية ، فسوف نجد مايؤكد القضية السابقة ، فكل إنسان خاضع لأفكاره التى كونها وأصبحت معتقداً له .

فالذى عاش فى بيئة إسلامية صالحة ، يتلقى منذ طفولته الفكرة تلو الفكرة عن أركان العقيدة ، ومايتصل بالعبادات والمعاملات والأخلاق.
ومع التلقى يرى التطبيق العملى ويدعى من داخل نفسه ومن غيره إلى المشاركة .

فإذا ماأصبح شاباً قادراً على التعبير عن ذاته ، نجدالأفكار التى تلقاها وعاشها هى التى تحكم ذاته ، وتوجه سلوكياته ونجده فى إطار ماتلقاه من أفكار يحكم على المواقف ، كما يحكم على البشر بالصحة أو الخطأ و بالسلب أو الإيجاب .

ونفس الأمر بالنسبة للذى عاش فى بيئة كافرة، تذوب ذاته فى الغالب فى الأفكار التى تأتيه من بيئته ، فتراه يتعصب لها بل يعمل على نشرها ، ويحسب أنه على حق فى كل مايقول ويعمل ، لأن ماتلقاه من أفكار فى صباه أصبح بالنسبة له عقيدة تؤثر فى ذاته وفى سلوكياته :

والاختلاف الناجم بين الأفراد سببه المباشر الاختلاف فى الأفكار . فكل واحد يعيش بأفكاره التى كونها لنفسه أو كونت له وربى عليها حتى أصبحت هى إياه .

وكل واحد يعيش لأفكاره حيث يدافع عنها ويتحمس لإثبات خطأ أفكار الغير ولو أدى ذلك إلى هلاكه .

والشعوب مثل الأفراد تخضع للأفكار ومع قناعتها بها تتلون توجهاتها .

وأصحاب التيارات والمذاهب الفكرية مثل الماركسية والوجودية والبرجماطية والوضعية وأصحاب الدعوات الهدامة مثل الصهيونية والماسونية والبهائية والقاديانية ، هم أنفسهم أصحاب أفكار اصطنعوها واقتنعوا بها وسيطرت على حركتهم فى الوجود ، وحسبوا أنهم بها قادرون على تغيير مسار الإنسانية والتحكم فى مقدراتها :

وهم يعلمون يقيناً أثر الفكرة فى حياة الإنسان ، ولذا يزيفون أفكارهم ، ويدفعون بها إلى الشعوب فى همس تارة ، وفى ضجيج إعلامى تارة ثانية ، ووسط ركام من التزييف والتحريف تارة أخرى .

وهم إذ يفعلون ذلك يصدرون عن قناعة بأن التغيير مبدؤه ومنتهاه هو الفكرة .

والانتصار الحقيق لهم يتلخص فى أمرين :

(أ) توصيل الفكرة إلى الغير .

(ب) تحقيق الاقتناع الكامل لدى الغير بها .

وبقدر نجاحهم فى التوصيل وتحقيق الاقتناع لدى الغير يصير هذا الغير تابعاً ينفذ مايراد منه ، إن بارادته وإن بغير إرادته التى يحسب أنها إرادته .

وفى القرن العشرين ينشط الإعلام الغربى مستخدماً الكلمة المقروءة والمسموعة والمرئية المباشرة وغير المباشرة فى المدرسة والجامعة والحقل والمصنع والمتجر ، بين المثقفين والمتعلمين والعامة ، فى المسجد والكنيسة ، بل فى كل مجال من مجالات الحياة ، وفى كل مكان يمكن أن تصله الكلمة .

ينشط فى غزو فكرى للعالم الإسلامى . يستهدف الفرد والاسرة والجماعة والأمة ، من أجل تحويل الجميع إلى توابع يسهل السيطرة عليها والغاء شخصيتها ، واستنزاف خيراتها . وابعادها عن عقيدتها الحقة إلى عقيدة مصطنعة :

أن تغيير المفاهيم أو الأفكار ، بالغاء الأفكار السابقة أو طمسها ثم احلال غيرها محلها ينتج عنه بالضرورة سلوكيات تتناسب مع الأفكار الجديدة .

من أجل هذا يحرص الغزاة غزواً فكرياً على ابعاد المسلم عن مفاهيمه وعقائده الصحيحة أو على الأقل التشكيك فى هذه المفاهيم والعقائد .

أنهم يهدفون إلى مسخ الشخصية الإسلامية، وجعلها طيعة لتقبل مايراد لها.

إن الغذاء المادى ضرورى لبقاء الإنسان كجسم نام متحرك متناسل،

والغذاء المعنوى — وأعنى به الأفكار — ضرورى لبقاء الإنسان كقوة عاقلة مدبرة مريدة ، فاهمة لبعض خفايا الكون، وباحثة عن صياغة جديدة لتأكيد إنسانية الإنسان .

ومع سلامة الغذاء المادى وتنوعه يكون الكمال الجسمانى .

ومع سلامة الغذاء المعنوى وتنوعه يكون الإنسان الحق ،

ويأتى الطعام المسموم بالانهيار للجسم ، كما يأتى الفكر الممجوج بالمسخ لإنسانية الإنسان ،

٢ — لمحة تاريخية عن الغزو الفكرى وأهدافه

لا نتتبع كل محاولات التضليل والقسر الفكرى التى قام بها اعداء الإسلام منذ بعثة سيدنا محمد ﷺ إلى يومنا هذا من أجل إبعاد الإسلام عن ساحة الحياة ، وإثناء القائمين بالدعوة إليه عن دعوتهم ، والتشكيك فى القيم الإسلامية ، وتفريغ الإسلام من أسسه .

وإنما فقط نذكر بعض الصور الجزئية والتى حدثت عبر فترات متباعدة ليتأكد القارىء من ملاحقة الغزاة للإسلام والمسلمين :

١ — فمنذ بدء البعثة المحمدية ومحاولات الضغط والتخويف والتكذيب من اعداء الإسلام للمسلمين لا تتوقف .

فقد ادعى مشركوا قريش ان رسول الله ﷺ مجنون ، ويصور القرآن الكريم دعواهم الكاذبة هذه حيث يقول « وقالوا ياأيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون »(١) .

٢ — كما وصموه ﷺ ، فى حرب فكرية ضارية بأنه ساحر كذاب ، يقول القرآن الكريم (وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب »(٢) .

٣ — وحاولوا اغراءه ﷺ ليترك ما هو عليه من أمر النبوة ، فقد ذهب إليه عتبة بن ربيعة موفدا من قريش وقال له « ياابن أخى ان كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون

---

(١) سورة الحجر الآية ٦
(٢) سورة ص الآية ٤

اكثرنا مالا ، وان كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان الذى يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الأطباء وبذلنا فيه اموالنا حتى نبرئك منه »(١) .

٤ — كما حاولوا ان يدفعوا الرسول ﷺ إلى اتباع شيء من دينهم ، على اساس ان يتبعواهم شيئا من دينه ، حسبانا منهم ان الأمر مجرد رغبة شخصية عند محمد ﷺ يقول الله عز وجل « ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولى المتقين »(٢) .

٥ — ومع تجويعهم وتخويفهم ومحاصرتهم وتعذيبهم للمسلمين لجأوا أيضا الى التأثير النفسى عليهم بالسخرية منهم تارة والتندر واللمز تارة أخرى . يصور القرآن الكريم هذا الاجراء خير تصوير حيث يقول « ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون . وإذا مروا بهم يتغامزون . واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين . واذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون . وما ارسلوا عليهم حافظين . فاليوم الذين أمنوا من الكفار يضحكون »(٣) .

٦ — وفى المدينة المنورة استقبل اليهود، المسلمين المهاجرين بالضيق الشديد والحسد والمكر وبدأوا فــور وصول المهاجرين فى التآمر على الإسلام والمسلمين ، وتأليب الاعداء عليهم ، والضغط على المشركين

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٩٠ ، ٩١ دار المعرفة بيروت ١٤٠٠ هـ
(٢) سورة الجاثية الآيتان ١٩ ، ٢٠
(٣) سورة المطففين الآيات ٢٩ الى ٣٤

حتى لا يدخلوا فى الإسلام ، وتشكيك المسلمين فى اسلامهم حتى يخرجوا منه .

ومن اساليبهم فى غزو الإسلام من داخله والتشكيك فيه ،

(أ) دخولهم فى الإسلام نفاقا حتى يتمكنوا من معرفة اسرار المسلمين والكيد لهم والتعرف على نقاط القوة ليضعفوها بالكذب والتزييف ، ونقاط الضعف لينموها وينشروها فى كل مكان .

(ب) تظاهرهم بالدخول فى الإسلام واعتناق مبادئه ثم الارتداد عنه حتى يبلبلوا افكار المسلمين ، ويفقدوهم أمنهم النفسى ، ويبعدوا عن الإسلام من يفكر فى الدخول فيه .

ثم السخرية والطعن فى الإسلام ومناصرة اعدائه .

٧ — ولقد كان لليهودى عبد الله بن سبأ — الذى دخل الإسلام نفاقا — دور كبير فى الغزو الفكرى ، حيث عمل بمكر ودهاء على تأليب المسلمين فى مصر والبصرة والكوفة على الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وكان من نتاج عمله مقتل عثمان وترويع المسلمين وتفتيت وحدتهم وتكوين فئات متناحرة .

ومع تولى على بن ابى طالب رضى الله عنه الخلافة ، واصل ابن سبأ واتباعه غزوهم الفكرى للمسلمين حيث ادعى ان الرسول محمدا سوف يعود للحياة الارضية مرة ثانية مثل عودة عيسى عليه السلام ، وان لكل نبى وصيا وان عليا وصى لمحمد ﷺ وان محمدا خاتم الانبياء وعليا خاتم الاوصياء .

ثم راح بعد ذلك يدعى ان عليا نبى ، ثم رقى ادعاءه الكاذب وقال بالوهية على ، وبعد مقتل على رضى عنه ، اخذ هذا المأفون يردد القول بأن عليا لم يقتل وإنما رفع الى السماء مثلما رفع

عيسى عليه السلام وأنه سينزل إلى الأرض ليملأها عدلا كما ملئت جوراً (١) .

ولقد كان لهذا التزييف أثره فى تكوين فرق الشيعة وبخاصة الغلاة منهم .

٨ — وفى سنة ١٢٤٨ م جاءت الحملة الصليبية السابعة على مصر بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا .

وقد لاقت هذه الحملة مقاومة مشكورة من المصريين ، وفيها أسر لويس التاسع فى دار ابن لقمان بالمنصورة (٢) .

وبعد أن فدى نفسه وعاد إلى بلده راح يفكر فى طريقة جادة للقضاء على الإسلام والمسلمين ، وخرج من تفكيره الطويل بضرورة التحول من الغزو العسكرى إلى الغزو الفكرى ، والذى دعاه إلى ذلك ما رآه من بسالة المسلمين حيث يدعوهم دينهم للتضحية والفداء فى سبيل الله .

ورأى أن الاستمرار فى غزو المسلمين بالسلاح سيزيد من صلابتهم وإصرارهم على المقاومة ، وأن من الأجدى لأوربا الصليبية أن تبدأ فوراً فى وضع خطة فكرية مدروسة هدفها تغيير أفكار المسلمين وتشكيكهم فى دينهم .

وقد وضع وثيقته الشهيرة والتى نلخص أهدافها فيما يلى : —

(أ) العمل الجاد على إيقاف الزحف الإسلامى .

(ب) إحتواء المسلمين والسيطرة عليهم فكريا حتى يسهل التحكم فى

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ١٧٤ تحقيق عبد العزيز الوكيل ط الحلبى .

(٢) الحروب الصليبية بدوافعها معه الإسلام ص ٧٦ د / أحمد شلبى النهضة المصرية .

سلوكياتهم ودفعهم لتحطيم انفسهم بأنفسهم وبذلك يخدمون المخططات الصليبية .

(ح) اصطناع العملاء من بين المسلمين حتى يمكن استخدامهم فيما بعد فى السيطرة على بنى قومهم وتغيير افكارهم وخدمة الاغراض الصليبية .

(د) انشاء قاعدة للغرب فى الشرق الإسلامى واعدادها اعدادا كاملا وامدادها بكل الوسائل والمخططات والامكانيات حتى تخدم قوى الغزو الفكرى المتعددة .

٩ — وجاءت الحملة الفرنسية إلى مصر بقيادة نابليون ورأى زعيمها كما رأى سالفه من قبل ان الهيمنة الحقيقية ونجاح الغزو العسكرى ، لا تتم هذه الأمور الا بابعاد الاسلام ، ولذا قام بتنحية الشريعة الإسلامية عن الحكم واستبدلها بالقوانين الفرنسية الوضعية .

وبعمله هذا تمكن من ايجاد خلخلة فى نفسية المسلمين مع نموها عبر مرور الازمنة أتى الضياع ، وفقد المسلمون جزءا كبيرا من هويتهم الإسلامية ، واحتضنوا افكارا غريبه عن واقعهم ودافعوا عنها .

١٠ — ومع مجىء الاستعمار البريطانى لمصر بدأ باعمال تهدف الى ابعاد الاسلام عن الساحة ومنها إفساد التعليم والمرأة والسياسة والفكر والثقافة والفن والعمل على نشر الاتجاه العلمانى .

ولم يقتصر الامر على مصر وحدها بل إن اوربا متمثلة فى انجلترا وفرنسا وايطاليا وهولندا عملت على علمنة كل بلد إسلامى ،

تمهيدا لتحقيق هدف الصليبية والذى يتلخص فى هدم الاسلام من جذوره وابعاده كلية عن الحياة وهذا الهدف لا يتم إلا بما يلى : —

(أ) التشكيك فى عقائد الإسلام وعباداته واخلاقة ونظمة ومعاملاته .

(ب) تشويه ماضى وحاضر الإسلام والمسلمين .

(ح) اظهار الإسلام بصورة الدين الذى يحرص على تقوقع الإنسان داخل نفسه وتخلفه ورضاه بالضعف والمذلة .

(د) احياء النعرات العنصرية والقوميات القديمة مثل الفرعونية والاشورية والبابليه وغيرها وتوسيع الهوة بين الفرق الاسلامية مثل الاشاعرة والماتريدية والمعتزلة والشيعة والخوارج

(ه) توهين الصلات بين افراد وجماعات الأمة الاسلامية وزرع بذور النفور والشك بين الجميع وتحقيق التغريب الكامل للمسلم وافقاد الشباب لهويته الاسلامية واشعاره بالنقص والتخلف .

(و) اعطاء الشعوب الغير اسلامية الجرعات الفكرية المستمرة التى تدفعهم لكراهية الاسلام والحقد على كل من ينتسب اليه ومحاربته فى كل الاوساط وبكل الوسائل .

(ز) اصطناع العملاء من بين ضعاف النفوس والسيطرة عليهم ثم الزج بهم فى المجتمعات الاسلامية لايجاد الاهتزازات النفسة وتكليفهم بالتشويش والطعن فى كل ما يتصل بالاسلام .

(د) محاربة اللغة العربية باحياء اللهجات العامية ، واظهار العربية بصورة اللغة المتخلفة التى لا تواكب العصر ولا تصلح للعلم ، والدعوة إلى كتابتها بالحروف اللاتينية واظهار اساتذتها فى ثوب مضحك وعدم الاهتمام بشئونهم .

(ط) الترويج للأفكار الغربية والعمل على نشر المبشرين والمستشرقين بين البلدان الاسلامية ، وتكليفهم بمهام خاصة تساعد في النهاية على تحقيق الهدف المشار إليه سابقا ،

(ى) العمل على « انشاء عقلية عامة تحتقر كل مقومات الفكر الاسلامى ، وابعاد العناصر التى تمثل الاسلام عن مراكز التوجية »(١) .

---

(١) الاسلام والدعوات الهدامة صـ ٢٤٩ انور الجندى دار الكتاب اللبنانى بيروت

الأبعاد

أولا : البعد المذهبي

١ — ماذا نعنى بالبعد المذهبي .

٢ — تعريف بالمذاهب الفكرية .

٣ — المذهب الفكرى والمذهب الدينى .

٤ — ضرورة التعرف على المذاهب الفكرية

٥ — الاسباب التى أدت إلى نشأة المذاهب الفكرية فى أوروبا .

أ — أوروبا لم تعرف إلا مسيحية بولس .

ب — الطغيان الكنسى .

ج — صكوك الغفران

د — محاكم التفتيش

٦ — ما تتناوله المذاهب الفكرية

٧ — وقفة نقدية قصيرة

البعـــد المذهبي

١ — ماذا نعني بالبعد المذهبي ؟

نعني بالبعـــد المذهبي تلك المذاهب والتيارات الفكرية التي نمت وترعرعت على أيدي نفر غير قليل من المفكرين الأوربيين .

أنشأوها وصاغوها في قوالب علمية مختلفة ، وأسموها بتسميات متعددة ، وحددوا الأهداف منها ، والوسائل الموصلة للأهداف . وكانت غايتهم منذ البدء محاولة تصحيح مسار الإنسان في أوروبا ، والأخذ بيده بعيداً عن المنزلق الخطير والهوة السحيقة التي يندفع نحوها بسبب تفشي الجهل والعنت . ثم بناء المجتمع على أسس يرونها علمية تغاير ما هو عليه .

وقد كانت انطلاقتهم ثورة على المسيحية البولسية ومؤتمر نيقية الذي غلب التثليث على الوحدانية .

إلا أنه في إطار هذه الثورة لم يفرق أصحاب المذاهب بين دين سماوي صحيح ، ودين هو من اختلاق بولس ، بل عادوا قضية الدين عموما ، ووقفوا مواقف لا يحسدون عليها من قضايا الله والإنسان والقيم الدينية والحياة .

وبفعل الزمن تحولت المذاهب إلى عقائد راسخة سيطرت على كيان مؤسسيها ، مما حدا بهم إلى تسخير كل إمكاناتهم العقلية والمادية لنشرها بين بني قومهم ، ثم محاولة نشرها بين الشعوب الأخرى ، والترويج لها بكل السبل وفي كل المجالات ، ودفعها لتحتل مركز الصدارة في تفكير وسلوك الجميع .

ومع أى نجاح يحققه أصحاب المذاهب بالطمس والإزالة والإحلال مع أى شعب من الشعوب ، يتحول هذا الشعب إلى دمية تتحرك بغير إرادتها محققة فى سلوكها كل ما يريده المخططون منها .

والمذاهب الفكرية قائمة ، وهى خطر جاثم على عقول الكثيرين ، ويزيد من خطرها أن دولا عظمى تتخذها ديناً لها وتعمل على نشرها .

وتقتضينا الأمانة أن نتابع القضية من البداية .

فما هى المذاهب الفكرية ؟

٢ — تعريف بالمذاهب الفكرية

والمذاهب الفكرية هي مجموعة المفاهيم والاتجاهات والحلول والتفسيرات التي انبثقت من العقل البشري بهدف اعادة البناء الاجتماعي في أوروبا وغيرها بعيدا عن أي تفسيرات دينية.

وقد تحولت مع الزمن إلى معتقدات يذهب إليها، وتوجه الشعوب إلى الإيمان بها والسير على هداها.

لقد مرت أوروبا بفترة ما يسمى بالعصور الوسطى، وفي هذه الفترة اشتد الظلام في كل أرجائها لأسباب سنذكرها فيما بعد، وضاع الإنسان على الطريق واهتز كيانه البشري، وتلفت بعض المفكرين حوله باحثا عن الأسباب، ومحاولا الحصول على مخرج، وتكررت المحاولات الفكرية التي أعطت، فيما بعد اتجاهات وتفسيرات تنأى بالإنسان بعيدا عن الظلام — كما هو الظن —.

فمحاولة تعطي الإنسان الفرد كل شيء، وثانية تسلبه كل شيء وترى أن الجماعة هي الأحق والأولى بالرعاية أما الفرد فمجرد ترس صغير في آلة كبيرة هي المجتمع، وثالثة ترجم الأديان وما فيها من عقائد وقيم حسبانا منها أنها أساس النكبات وتأخر البشرية، واخرى تقدس العقل وترى أنه قادر على كل شيء وهكذا.

ونشأ عن هذه المحاولات فيما بعد ما سمي بالمذاهب والتيارات الفكرية.

ولكل مذهب من هذه المذاهب رؤيته المتكاملة في رأية عن الكون والحياة والإنسان والإله والقيم.

٣ — المذهب الفكرى والمذهب الدينى :

المذهب الفكرى والمذهب الدينى كلاهما يعبر عن اجتهاد المفكر ، ورؤيته الشاملة ، والاتجاه الذى يركن إليه ، والتفسير الذى يتحرك من خلاله ، ويعمل من أجل نشره بين بنى البشر ، ويجب أن ينضوى الكل تحت لوائه .

وهناك فروق بينهما نرى من أوضحها ما يلى .

أولا : المذهب الفكرى يعتمد كلية على العقل البشرى ، وهو منذ البدء يطلق النص الدينى أوعلى أقل تقدير ينظر إليه بازدراء أولا مبالاة .

أما المذهب الدينى فإن منطلقه الأساسى هو الاعتماد على النص الدينى ، فالفقيه المسلم أو المتكلم الأشعرى أو الماتريدى مثلا يتحرك الواحد منهم بعقلانية ترتبط فى كل لحظة بالقرآن الكريم والسنة المطهرة .

ثانيا : صاحب المذهب الفكرى يعطى لنفسه الحق فى مناقشة كل القضايا ويثق كثيرا فيما يصل إليه بعقله .

أما صاحب المذهب الدينى فيتحرك فى دائرة المسموح به ، أى أنه يبتعد عن كثير من قضايا الغيب مثل كنه الذات الألهية وحقيقة القدر والروح الخ .

ثالثا : المذهب الفكرى يهدف إلى إطلاق العنان للإنسان بلاقيد من قيم أو أخلاق بأسم الحرية ، كما هو الحال فى المذهب الفردى [الوجودية] أو إلغاء الإنسان الفرد فى سبيل المجموع ، كما هو الحال فى المذهب [الشيوعى] .

أما المذهب الدينى فيهدف إلى مساعدة الإنسان الفرد والجماعة ، ويعمل على تأكيد الفرد لذاته دون أى صدام مع مصالح الجماعة .

رابعا : المذهب الفكرى يعطى حق التشريع للإنسان الفرد كما هو الحال فى المذهب الرأسمالى ، أو للإنسان الجماعة كما تدعى الشيوعية .

أما المذهب الدينى فانه يؤمن بأن لاحاكمية إلا لله تعالى وإذا كان من حق العقل أن يعمل فان عمله لا يخرج عن النص الدينى .

ولما كان المذهب الفكرى يعتمد على الفكر البشرى، والمذهب الدينى ينطلق من خلال النص الدينى ، فان المذهب الاقتصادى أو السياسى مثلا حينما يقترب من المذهب الفكرى يكون رؤية فكرية محددة لجانب محدد وهو الاقتصاد أو السياسة بعيدة عن التفسيرات الدينية .

وحينما يقترب من المذهب الدينى ويستلهم منه رؤية متكاملة فانه حينئذ يسمى بالاقتصاد الدينى أو الإسلامى ، وبالسياسة الدينية أو الإسلامية .

٤ — ضرورة التعرف على المذاهب الفكرية

أصبحت المذاهب الفكرية هى السمة المميزة للعالم ، وبخاصة الدول العظمى ، وهى بعد أو أداة فعالة تغزو أدمغة الشعوب وتتسلط على عقائدهم واخلاقهم .

ومن الشعوب المستهدفة والمراد قهرها وصبغها بالصبغة العلمانيه الإلحادية الشعوب الإسلامية .

لهذا أصبح لزاما على كل مسلم أن يتعرف على هذه المذاهب ، وماءيها من سموم ، حتى لا يؤخذ على غرة ، وحتى يتقيها ، ويدافع عن دينه وعقيدته بالوسائل العلمية الصحيحة.

والمسلم فى ظل الإسلام مطلوب منه أن لا يكون إمعة ، فقد ميز بالخيرية والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، يقول سبحانه وتعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)(١).

ويقول عز وجل (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) (٢) .

ويقول الرسول الكريم ﷺ (لا يكن أحدكم إمعه يقول إذا أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسنوا أو أساءوا ألا تظلموا)(٣).

---

(١) سورة آل عمران الآية ١١٠

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٤

(٣) رواه الترمذى .

ويقول ﷺ (الدين النصيحة ، قالوا لمن يارسول الله قال لله ورسوله خاصة المسلمين وعامتهم) (١) .

ومن باب الخيرية والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يلزم المسلم أن يتعرف على فكر عدوه حتى يرده عن نفسه وعن غيره .

ومن باب تمييز المسلم وظهور شخصيته يلزم أن لا يركن لأفكار غريبة عن دينه ، أو يقف متفرجا معصوب العين ، مغلق الأذن ، مجمد العقل ، يسير مع الناس اينما ساروا وكيفما ساروا ، بل عليه أن يقود الجميع إلى الطريق الصحيح ولا يقدر على ذلك ، ولا يقوى على النصيحة الحقة الواعية الصادقة إلا إذا عرف ما يحيط به من تيارات .

ومن قبل قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه (لا يعرف الإسلام من لم يعرف الجاهلية) .

فوقوف المسلم ومعرفته الصحيحة لدعائم الكفر والضلال والظلام الذى يخيم على الفكر الأوربى ، تدفعه هذه المعرفة للوقوف على ما هو عليه من هدى ربانى ونور الهى فيعتصم بحبل الله ، ويدافع عن عقيدة لا إله إلا الله محمد رسول الله .

والمسلم ملزم أن يدعو إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يجادل أعداء الله بطريقة علمية صحيحة ، لذا يلزمه مع المعرفة الصحيحة لدينه أن يعرف ما حوله من تيارات وفكر حتى يجادل بالتى هى أحسن .

يقول سبحانه (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) (٢) .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه . (٢) سورة النحل الآية ١٢٥

إنه لمن ظلم الإنسان لنفسه أن يعيش بعيـــدا عن معرفة التيارات الفكرية المعاصرة له ، والجهل الحقيقى أن يغلق بابه اعتقادا منه أن هذا الإغلاق من انجع الوسائل لحمايته وحماية مجتمعه .

ومن الجهل الواضح أن نلجأ إلى أسلوب الصراخ والسباب والتشنج كلما التقينا بتيار وافد .

إنهم يعيشون الباطل ومع ذلك يقدمونه للشعوب فى أسلوب علمى ، ويغلفونه بدلائل عقلية ويزينونه بحيلهم .

أما نحن أصحاب الحق والحقيقة فنركن إلى الضعف ، ونعظ أنفسنا بعظات مكرورة ، ونحسب أننا بذلك نحمى دين الله الذى ائتمننا عليه ، وحينما يكثر اللغو والشغب حولنا نصم آذاننا ونغلق عيوننا .

لقد عطلنا الجهاد بالسيف ، فلا أقل من أن نجاهد باللسان والقلم (يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) (١) .

---

(١) سورة الصف الآية ٨

٥ — الأسباب التى أدت إلى نشأة المذاهب الفكرية فى أوربا

من أهم الأسباب التى أدت إلى تفتق العقل الأوروبى وبحثه عن مخارج لأزماته المتعددة وإنشائه للمذاهب الفكرية ما يلى :

(أ) إن أوروبا لم تعرف مسيحية عيسى عليه السلام على حقيقتها وإنما عرفت مسيحية محرفة فى العقيدة ومبتعدة عن التشريع الصحيح فى الشريعة .

(ب) ما لاقته أوروبا من طغيان كنسى فى جميع المجالات .

(ج) انتشار ما يسمى بمحاكم التفتيش ومهزلة صكوك الغفران .

ويلزمنا أن نعرف بكل نقطة من هذه النقاط بإيجاز :

(أ) أوروبا لم تعرف إلا مسيحية بولس فقد بعث عيسى عليه السلام فى منطقة الشرق الأوسط وفى فلسطين بالذات، بدين يدعو إلى المحبة والتسامح والسلام .

وكانت المنطقة آن ذاك تغط بمعتقدات وأفكار متعددة .

فهناك كانت الديانة اليهودية التى جاء بها موسى عليه السلام لبنى إسرائيل .

وفى مصر كانت الوثنية الفرعونية التى تبنى على التثليث أى عباد إيزيس واوزوريس وحورس .

وفى الدولة الرومانية كانت الوثنية التثليثية التى تقول بآلهة ثلاثة جوبتير ومارس وكورنيوس .

وتضيف الوثنية الرومانية إلى هذا الادعاء القول بربوبية الأباطرة وعبادتهم وتقديس الصور والتماثيل .

ثم كانت الأفلاطونية الحديثة التى تقول بالتثليث أيضا — المنشيء الأزلى الأول ، والعقل الذى تولد منه ، والروح التى هى أساس الارواح .

وقد صدر العقل عن المنشيء الأول ومن العقل انبثقت الروح التى هى أساس الأرواح كلها (فإذا عبرنا عن المنشيء الأول بالأب وعن العقل المتولد عنه بالابن وعن الروح بروح القدس — كما هو ثالوث النصارى — لما خرجنا عن الصواب) (١) .

ووجدت المــثرائية وهى وثنية أساسها الكاهن والمذبح فلكى يتطهر الإنسان عليه أن يقدم عن طريق الكاهن القربان للإلهة .

فى هذه البيئة بعث عيسى بدعوة التوحيد (وإذ قال عيسى بن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد . فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) (٢) .

ويأتى سؤال إذا كان عيسى عليه السلام ، قد جاء بدعوة التوحيد فى الجانب العقدى فلم دانت أوروبا بالتثليث ؟

وإذا كان المسيح قد قال إنى عبد الله ورسوله فلماذا قالت أوروبا بألوهية المسيح وبأنه ابن الله ؟

هل قال المسيح عليه السلام بذلك ؟

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ٤٢ الشيخ محمد ابو زهرة

(٢) سورة الصف الآية ٦

الحقيقة أن اليهودية تربصت بالمسيح وأوغرت صدر الامبراطور الرومانى عليه حتى إذا هم بقتله رفعه الله إليه (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم)(١) .

ودفعت برجل يهودى إسمة شاول ليقلب المسيحية رأساً على عقب .

ولقد كان شاول هذا من ألد أعداء المسيحية وكثيرا ما نكل بالمسيحيين يقول عن نفسه (إنى كنت اضطهد كنيسة الله بافراط واتلفها وكنت اتقدم فى الديانة اليهودية على كثيرين من اترابى) (٢) .

وقد ادعى شاول هذا والذى سمى فيما بعد ببولس الرسول أنه سمع صوتا قائلا له : شاول شاول لماذا تضطهدنى ؟ فقال من أنت يا سيد ؟ فقال الرب أنا يسوع الذى تضطهده فقال وهو مرتعد ومتحير : يارب ماذا تريد أن أفعل فقال له قم وأدخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل (٣) أى ادع إلى المسيحية .

وقد نشط بولس هذا فيما بعد وراح يدعو بالتثليث ، وألوهية المسيح ، وبنوته لله ، وبأنه بعث من عند أبيه ليصلب تكفيرا عن خطيئة البشرية ، وأنه بعد الصلب رفع ليقوم على يمين الرب أبيه .

وإذا حاولنا أن نبحث عن أصول لمسيحية المسيح فى مسيحية بولس فلن نجد .

فبولس عاش عصره واطلع على عقائد وأفكار هذا العصر ومنها ما ذكرنا آنفا ، واستطاع بذكائه الفذ أن يدعو إلى مسيحية هى تركيبة من الوثنيات والعقائد ، وقال بأنه يتلقى هذا إلهاما حتى لا يناقشه أحد .

---

(١) النساء الآية ١٥٧ (٢) غلاطية الاصحاح الأول ١٤/١٥

(٣) أعمال الرسل الأصحاح التاسع ٥ : ٧ .

يقول ويلز (وقد أوتى بولس قوة عقلية عظيمة كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية فنراه على علم عظيم باليهودية والمثرائية وديانة ذلك الزمان الذى تعتنقها الاسكندرية فتقل إلى المسيحية كثيرا من فكراتهم ومصطلح تعبيرهم).

ويقول (فما بشر به يسوع كان ميلادا جديدا للروح الإنسانية. أما ما علم بولس فهو الديانة القديمة ديانة الكاهن والمذبح وسفك الدماء لاسترضاء الأله) (١).

ولقد بقى هذا التحريف فى العقيدة المسيحية بعد مقتل بولس على يد الرومان فى عهد نيرون .

ولقد تعرض المسيحيون منذ بدء الدعـــوة المسيحية لاضطهادات مستمرة من الرومان ، حيث كانوا يلقون للوحوش الضارية لتفترسهم ، وتطلى أجسامهم بالقار وتشعل لتكون مصابيح لاحتفالات نيرون ، وقد أمر دقلديا نوس بهدم كنائسهم وإعدام كتبهم المقدسة واعتبار المسيحيين مدنسين تسقط حقوقهم المدنية (٢).

واستمر الحال على ذلك لأكثر من ثلاثة قرون وحتى سنة ٣١٣م (٣) ومع بدايات القرن الرابع أصدر الامبراطور الرومانى قسطنطين أمره بالتسامح ، ثم رأى بعد ذلك لأمر يتصل باستقرار دولته أن يدخل المسيحية ، وراح يرقب عن كثب ما عليه المسيحيون فوجدهم احزابا متناحرة فمنهم من يقول بالتثليث وألوهية عيسى وبنوته لله وهم أتباع بولس الرسول .

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية ج٣ ص٧٠٥هـ ج ويلز ط٢ التأليف والترجمة
(٢) المسيحية ص ٧١-٧٢ د/ أحمد شلبى .
(٣) نفس المرجع ص ١٤٣ .

ومنهم من يقول بأن المسيح بشر ورسول ولم يبعث ليكفر عن خطيئة أحد. وهم أتباع آريوس وهكذا . فدعا إلى مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥ م وحضره كبار رجال المسيحية وكان عددهم ٢٠٤٨ ولما بدأ المؤتمر اشتد اختلافهم وخاصة حينما أعلن آريوس أن الأب وحده الله والابن مخلوق مصنوع .

ولما كانت عقيدة التثليث والوهية المسيح تتمشى مع وثنية الامبراطور الرومانى قسطنطين ويستريح لها ، فقد تدخل حاسما الموقف حيث أمر بإخراج من يقولون بالتوحيد ، وببشرية المسيح ، وقبض على الكثير منهم ، وقتل أريوس مع بعض مؤيديه . ثم أعلن رضاءه الكامل على من يقولون بالتثليث والوهية المسيح .

وأعلنت الكاثولوكية ديانة عامة للدولة الرومانية واختار أربعة أناجيل ثم أمر بحرق الأناجيل الأخرى .

وقد فرض قرار مؤتمر نيقيه فرضا على المسيحيين وعذب وشرد وقتل من اعترض على ذلك (١) .

ومن يومها لم تعرف أوروبا إلا هذه المسيحية البولسية .

وهى مسيحية وثنية يرفضها العقل الجاد الذى يحترم نفسه .

وهى مسيحية بعيدة كل البعد عن ما جاء به المسيح عليه السلام .

يقول برنتن :

---

(١) المسيحية ص١٤١/١٤٢ نقلا عن الانجيل والصليب ص ٢٠/٢١ وراجع مؤتمر نيقية فى قصة الحضارة ج١١ مجلد٣ ص٣٩٤ ول ديورانت .

إن المسيحية الظافرة فى مجمع نيقية — وهى العقيدة الرسمية فى أعظم أمبراطورية فى العالم — مخالفة كل المخالفة لمسيحية المسيحيين فى الجليل . ولو أن المرء اعتبر العهد الجديد .

التعبير النهائى عن العقيدة المسيحية لخرج من ذلك قطعا لا بأن مسيحية القـــرن الرابع تختلف عن المسيحية الأولى فحسب ، بل بأن مسيحية القرن الرابع لم تكن مسيحية بتاتا(١).

وإذا كانت أوروبا لم تعرف إلا هذه المسيحيه المحرفة فى العقيدة ، فقد عرفت أيضا المسيحية عقيدة فقط بلا شريعة .

أما الشريعة فهى القانون الرومانى الذى أخذ الشرعية الكاملة من قوله تروى عن السيد المسيح (أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله).

ومعلوم أن الدين الصحيح عقيدة وشريعة لا ينفصلان .

ويوم أن يحدث الفصام يكون المسخ لانسانية الإنسان .

وهذا ماحدث فى أوروبا من تخبط فى جميع الاتجاهات وضياع على الطريق وزلزلة للنفس الإنسانية .

(ب) الطغيان الكنسى :

أحاطت الكنيسة الكاثولوكية نفسها بهالة من الغموض والسرية ، وأوحت للناس بأنها وحدها التى تعرف الأسرار المقدسة ، وأنها تملك حق الغفران ، كما تملك حق الطرد من رحمة الله ، وأعلنت المسيحيين أن البابا هو ممثل الله فى الأرض ، وأن ذاته مقدسة ، كما أن كلماته تستحق التقديس الكامل.

---

(١) أفكار ورجال ص ٢٠٧ جزين برنتن — مطر ١٩٦٥

ونتيجة للجهل المتفشى فى أوروبا ، فقد أثرت هـــذه الإيحاءات فى الشعب الكنسى تأثيرا كاملا ، بحيث صار الجميع يخضعون فى أقوالهم وأفعالهم خضوعا مذلا للكنيسة، ويحسبون أنهم بذلك يقتربون من ملكوت الله ، ويرضون الرب يسوع إله الكنيسة الكاثوليكية والابن الوحيد لله كما يزعمون .

ولم تضيع الكنيسة فرصة الخضوع المذل من الشعب لها ، بل أخذت تنمية فى جميع الجوانب بالتسلط والقهر تارة وبالإدعاءات والإيحاءات تارة أخرى،

فالمسيحى لا يصبح مسيحيا حقيقيا منذ طفولته إلا إذا عمد عن طريق القسيس(١)، والقسيس هو الذى يزوجه وهو الذى يستمع لاعترافه بخطاياه ويقبل توبته أو يطرده من رحمة الله بالحرمان الذى يملكه نيابة عن الله، ومهما كان الإنسان تقيا أو صادقا فى حبه لله فإن صلاته لا تقبل إلا إذا تقدمه القسيس والويل لمن مات وحرم من قسيس يصلى عليه .

وتقول الكنيسة بالأسرار المقدسة، والتثليث للآب والابن والروح القدس — والتحلة — وهو ادعاء يعطى لكبار رجال الدين المسيحى حق التحلل وعدم الالتزام بأوامر الدين الكنسى(٢) والعشاء الربانى — وهو الادعاء بأن المسيحى الذى يأكل خبزا ويشرب خمرا فى يوم الفصح فإن الخبز يتحول إلى جسد المسيح والخمر إلى دمه فكأن المسيحى بذلك أكل جسد المسيح وشرب دمه وبذلك يصير مسيحيا مقربا من يسوع الرب جاء فى إنجيل يوحنا الاصحاح السادس قول عيسى عليه السلام .

---

(١) المسيحية ص ١٦٨ د/ أحمد شلبى.

(٢) محاضرات فى النصرانية ص ٢٠٢

(والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم ومن يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية يثبت فى وأنا فيه فمن يأكلنى فهو يحيا بى).

وانزال الرب لابنه الوحيد من السماء إلى الأرض ليصلب على الصليب تكفيرا عن خطيئة آدم وتطهيرا للبشرية من الذنوب(١) ثم امتلاك الكنيسة لحق الغفران وحق الحرمان وقداسة الصليب وغير ذلك من الأسرار(٢).

وتدعى الكنيسة أنها وحدها التى تعرف حقيقة هذه الأسرار وأنها وحدها التى تملك حق تعريفها للغير.

ولو حاول أحـــد من الناس أن يفهم أو يعرف ، فانها تنهره وتتهمه بالمروق عن المسيحية وتلجأ إلى وصفه بأفظع الصفات ، ومنها الكفر والهرطقة ، ولكى يكون المسيحى حقيقيا فى مسيحيته عليه أن يعطل عقله ويتقبل كل الأسرار كما هى دون أى محاولة للتساؤل أو الارتياب وإلا استحق اللعنة الأبدية.

وفى مجال التفسيرات الكونية طاردت الكنيسة كل من يقدم من العلماء تفسيرا يخالف ما تقول هى به .

فهى تقول بأن الأرض مسطحة ، وأنها مركز الكون ، وأن علاج المرضى يكون بقراءة بعض ما فى الأناجيل وغير ذلك من التفسيرات التى تنم عن جهلها.

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ١٢٥
(٢) المسيحية ص ٢٤٢

ومع هذا فلو جاء أحد العلماء بتفسير علمى ، بناء على الملاحظات المستمرة ، واستقراء مافى الكون ، واستخدام الأجهزة العلمية الدقيقة ، وكان هذا التفسير يخالف ما تقول به الكنيسة فإنه يتهم بالكفر والزندقة والهرطقة ويستحق الطرد من رحمة الله والحرمان من جنته ، ليس هذا فحسب بل تطارده الكنيسة وتقبض عليه وتعرضه لا شد العقوبات الدنيوية ، ثم تقوم باعدامه حرقا بعد ذلك ويكفى أن نعرف أن كوبرنيكوس حينما قال بأن الأرض كروية ، تعرض للعذاب الشديد من رجال الكنيسة وهموا باعدامه إلا أن منيته وافته فاحرقوا كتبه .

وأعان برونو بعد ذلك ما قال به كوبرنيكوس فكان جزاؤه بعد التعذيب الحرق حيا(١) وجاء بعدهما جاليليو ليؤيد بالأجهزة العلمية كروية الأرض فقبضت عليه الكنيسة وعرضته لالوان متعددة من العذاب ، وقبل أن تنفذ فيه حكم الاعدام كان هو أذكى إذ أعلن فى الظاهر رجوعه عما يقول وأنه يعلن توبته وعودته لما تقول به الكنيسة فاضطروا للافراج عنه .

يقول ويلز (ولم يقتصر تعصب الكنيسة على الأمور الدينية وحدها فان الشيوخ الحصفاء المولعين بالابهة السريعى الهياج الحقودين ، الذين من الجلى أنهم كانوا الاغلبية المتسلطة فى مجالس الكنيسة ، كانوا يضيقون ذرعا بأية معرفة)(٢) .

ولم تكتف الكنيسة بالتسلط على أرواح الناس وعقولهم بل راحت تدعوا الشعب الكنسى إلى الشظف والخشونة والتمسك بالفقر وتبين لهم أن من أراد ملكوت الله فخبز الشعير والنوم فى المزابل مع الكلاب كثير عليه وأن مرور جمل من سم الخياط أيسر من دخول غنى ملكوت الرب .

(١) قصة النزاع بين الدين والفلسفة ص ١٥٧ د/ توفيق الطويل .
(٢) معالم تاريخ الانسانية ج ٣ ص ٩٠٥

والدعوة فى حد ذاتها مقبولة لكن بشرط أن تلتزم الكنيسة فهل فعلت ؟!!

يقول كريسون (كانت الفضائل المسيحية كالفقر والتواضع والقناعة والصوم والورع والرحمة، كل ذلك كان خيراً للمؤمنين وللقسيسين . . . . أما اساقفة البلاط والشخصيات الكهنوتيه الكبيرة فقد كان لهم شيء آخر، البذخ والأحاديث المتأنقة مع النساء ، والشهرة فى المجالس الخاصة والعجلات والخدم والأرباح الجسيمة والموارد والمناصب)(١) .

ويقول ول ديورانت (كانت أملاكها الزمنية ، وحقوقها والتزاماتها الإقطاعية مما يحلل بالدار كل مسيحى متمسك بدينه ، وسخرية تلوكها ألسنة الخارجين على الدين ، ومصدراً للجدل العنيف بين الأباطرة والبابوات والبابوات وهذا أصبحت الكنيسة جزءا لايتجزا من نظام الاقطاع(٢).

لقد أخذت الكنيسة تستولى على الأراضى الزراعية الشاسعة وتجعلها وقفاً لها ، كما قامت بفرض ضرائب على الشعب الكنسى تجبى لحسابها ، منها : ضريبة العشور أى عشر الدخل وضريبة السنة الأولى أى على كل موظف جديد فى وظيفة أن يدفع دخل السنة الأولى لحسابها كما ألزمت العمال أن يقوموا بعمل يوم فى كل أسبوع فى أراضيها بالمجان .

هذا بالإضافة إلى الهبات التى تأتيها بحسن نية أو بسوء نية .

وكانت الكنيسة ما بين يوم وآخر تلوح لأى متقاعس عن الدفع أو متذمر من تصرفاتها تلوح له بالطرد والحرمان واللعنة الأبدية .

---

(١) المشكلة الأخلاقية ص١٦٧

(٢) قصة الحضارة ج ١٤ ص ٤٢٦ ط الدجوى ١٩٧٥ .

لقد أخذت الكنيسة تكفر الناس لأوهى الأسباب ، وتحرق وتعذب كل من يخالفها يستوى فى ذلك الشريف والوضيع من يهزأ بآرائها حقاً ومن يحاول أن يفهم .

انعقد المجمع اللاتيرانى الرابع سنة ١٢١٥ وقرر استئصال الهراطقة وهم يعنون بالهراطقة كل من يخالف آراء الكنيسة أو يذهب للقول بتفسيرات غير تفسيراتها .

لقد ذهب العالم ابيلارد إلى رأى يستريح له فى تفسير قضية صلب المسيح ، ولما كان هذا التفسير يخالف ماتقول به الكنيسة فقد عقدت مجلسا لمحاكمته وكان نصيبه السجن وإحراق كتبه . بل إن الملوك أنفسهم فى أوروبا خضعوا لهذا التسلط والقهر ففى ليون بفرنسا انعقد المجمع الثالث بأمر البابا اينوسنت وقرر عزل وحرمان ملك فرنسا(١) .

ومن التصرفات الكنيسة التى أثارت مشاعر المثقفين الأوربيين وعجلت بالثورة على الكنيسة والدين الكنسى بل جعلت المثقفين يحنقون على الأديان عموما ، الإدعاء بضرورة اعتراف المسيحى بذنوبه أمام القسيس وللقسيس أن يقبل اعترافه ويتوب عليه ويمنحه حق الغفران من ذنوبه(٢).

لقد أحس الناس أن الكنيسة بهذه التمثيلية تسخر من تفكيرهم وتحركهم كدمى وفق أهوائها الشخصية .

وأحسوا أيضاً بما يقترفه القساوسة من جرائم جنسية مع المعترفات من المسيحيات تحت ستار حق الاعتراف والتوبة من الذنوب(٣).

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ١٩٨ ، وما بعدها .

(٢) المسيحية ص ٢٤٢ د . أحمد شلبى .

(٣) المسيحية ص ٢٥٥ نقلا عن رسالة الحياة السنة الأولى العدد الثانى عشر ص ٦ والسنة الثانية العدد الثانى ص ٢٥ .

(جـ) صكوك الغفران :

ومن المسائل التى اساءت للكنيسة وأوغرت صدور الناس عليها والمثقفين خاصة ، وعجلت بالثورة عليها ، والخروج من تحت سلطانها ، والنظر بازدراء إلى رجالها والتى (كانت خاتمة حماقتها فى القرن السادس عشر بيع صكوك الغفران ، التى بها يمكن افتداء الروح من عذاب المطهر بدفعة مالية ، على أن الروح التى دفعتها آخر الأمر إلى هذه الفعلة المتبجحة التى كانت نكبة عليها ، كانت واضحة ملحوظة من قبل فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر)(١) .

لقد أعطت الكنيسة لنفسها فى المجمع الثانى عشر حق غفران الذنوب مدعية أن يسوع المسيح قد قلد الكنيسة سلطان منح الغفرانات ، وذهبت إلى القول بحرمان من يزعم أن الغفرانات غير مقبولة ، أو ينكر على الكنيسة هذا الحق .

وقد استغلت الكنيسة حق الغفران استغلالا سيئاً من أجل جمع المال والتسلط على أرواح الناس .

(فإذا أراد البابا أن يبنى كنيسة أو يجمع مالا لشىء ما طبع صكوك الغفران ووزعها على اتباعه ليبيعوها للناس ...... وبالصك فراغ ترك ليكتب به اسم الذى سيغفر ذنبه .

والعجيب أن هذا الصك يغفر لمشتريه ماتقدم من الذنوب وما تأخر فهو إذن بارتكاب كل الجرائم بعد أن ضمنت الجنة لهذا المحظوظ)(٢) .

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية حـ ٣ ص ٩٠٥ ويلز .

(٢) المسيحية ص ٢٥٤ ومحاضرات فى النصرانية ص ٢٠٤ .

والصك دعوة للتسيب والتنطع والخروج على القيم النبيلة ، فلأى إنسان أن يرتكب ما يشاء من الذنوب طالما أنه يملك القدرة على شراء صك غفرانى يزيل به خطاياه ما تقدم منها وما تأخر ويضمن به دخول الجنة .

والصك بهذا المفهوم الساخر والعابث الذى فرضته الكنيسة [illegible] صار معول هدم لها ودعوة صريحة للخروج على فكرة الدين التى تدعى أنها تعمل على نشرها وحمايتها .

(د) محاكم التفتيش :

كانت عادة البابوات قبل القرن الثالث عشر الميلادى التحسس وبث عيونهم فى الأقاليم المختلفة للبحث عن الملاحدة والهراطقة — أى الخارجين عن الدين أو عن تفسيرات الكنيسة — ولم توقع عقوبة الإعدام إلا على عدد قليل من الملاحدة .

ومع حلول القرن الثالث عشر أنشأت الكنيسة محاكم التفتيش [illegible] وجعلتها أداة مستديمة للقمع والتسلط ونشر الرعب وسفك الدماء (وبهذه الأداة نصبت الكنيسة نفسها لمهاجمة الضمير الإنسانى بالنار والعذاب ... وشهد القرن الثالث عشر كبار رجال الكنيسة يقفون فى مائة ساحة من ساحات الأسواق فى أوروبا ليراقبوا أجسام أعدائها ... تحترق بالنار وتخمد أنفاسهم بحالة محزنة)(١) .

لقد راحت الكنيسة تبحث عن كل مخالف لها ليس فى الدين فحسب وإنما فى العلم وفى الاجتهاد فى الفهم والتفسيرات الكونية وأمور الحياة

(١) معالم تاريخ الإنسانية ﺣ ٣ ص ١٠٨ .

العامة (ولم تكتف الكنيسة بقتل من يجهرون بآراء تخالف آراءها بل أخذت تنقب على القلوب وتستكنه خبايا النفوس وتكشف عن سرائر الناس بما أسماه التاريخ محاكم التفتيش التي دنست تاريخ الأديان بما ارتكبت من آثام وما سفكت من دماء) (١) .

ويمكننا بعد هذه الرؤية الموجزة أن نعيد على الاسماع وترى الأبصار أن من أهم عوامل نشأة المذاهب الفكرية فى أوروبا فيما يتصل بالمسيحية .

أن أوروبا لم تعرف مسيحية المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، وإنما عرفت مسيحية بوليسية محرفة فى العقيدة وراضية بتطبيق الشريعة الرومانية إلا فى أحوال بسيطة مثل أمور الزواج ومراسم دفن الموتى وغيرها .

ومع هذه المسيحية البوليسية تعرضت أوروبا لطغيانات كنسية فى مجال الروح والعقل والعلم والاقتصاد .

وتعرضت أيضا لأرهاب تمثل فى محاكم التفتيش وخرافات تمثلت فيما يسمى بصكوك الغفران .

وقد واكب هذه الأحداث فى أوروبا ظهور بعض المفكرين الذين راحوا يطالبون بالتعامل المباشر مع الطبيعة بالعقل والتجربة والأخذ بالأسباب كاملة ، والتخلى عن الكنيسة ودينها ، وعن منطق أرسطو الذى سيطر طويلا على الفكر البشرى فأجدبه ، حيث لم يفده إلا بالجمود والتوقف عن مسايرة ركب التطور .

---

(١) محاضرات فى تاريخ النصرانية ص ١٩٨ .

من هؤلاء المفكرين روجر بيكون ١٢١٤ — ١٢٦٤ الذى تأثر بروح الاسلام العلمية ، وحاول أن ينقل هذه الروح إلى عالمه الغربى ، ورأى ضرورة التأكد من أقوال رجال الكنيسة بالعقل، فإن صدق العقل مايقولون عمل به وإلا طرح جانباً .

وليونارد دى فينشى الذى خرج عن الآراء التقليدية ورأى ضرورة الحذر من الخيال .

والفيلسوف الإنجليزى فرانسيس بيكون ١٥٦١ — ١٦٢٦ الذى طالب بضرورة الإعتماد على العقل والتجربة والتخلص من الأوهام التى تكبل حركة العقل وهى أوهام الجنس والكهف والمسرح والسوق .

وفولتير فى القرن الثامن عشر الذى أخذ فى توجيه النقد اللاذع لرجال الكنيسة والمعتقدات الكنسية قائلا (إن المسيح لم يقل قط فى الأناجيل لقد جئت وسأموت كى اجتث المعصية الأصليه... وإن جوهرى وجوهر الله واحد ... وإن لى طبيعتين وإرادتين ولست الأشخاص واحداً لست أبا ولكنى والأب شىء واحد، فأنا هو ولست هو ... كل الكون صائر إلى الهلاك الأبدى وأمى معه ولكن أمى أم الله)(١) .

لقد ولدت هذه السخرية من الأفكار الكنسية التى قام بايل وفولتير واسبينوزا وغيرهم اتجاهات تصحيحية عدة تأخذ تارة بالعقل وتعتبره كل شىء ولا معرفة إلا من طريقة . وتارة أخرى تأخذ بالحس والتجربة وفى الإتجاهين كان الخصام بين الدين والعلم وبين الدين والعقل ونتج عن الخصام مذاهب متعددة مثل المذهب العقلانى والعلمانى والوضعى والماركسى والوجودى والبرجماطى . وهنا نسأل ما الذى تتناوله هذه المذاهب لنتابع معاً .

(١) تيارات الفكر الفلسفى ص١٤١ اندريه كريسون عويدات بيروت

٦– ما تتناوله المذاهب الفكرية

العقل البشرى حينما لا يعقل نفسه ، فإنه ينطلق بلا هوادة يضرب هنا وهناك بلا رادع أو كابح للجماح .

ولهذا رأينا مع نشأة المذاهب الفكرية أنه لا حدود لحركة العقل ، فهو يتحرك فى دائرة الطبيعة بكل مشتملاتها ، الإنسان من هو ؟ ومم ركب ؟ ومن أين أتى ؟ وإلى أين يذهب ؟ والأرض ما عناصرها ؟ ومتى نشأت ؟ وكيف نشأت ؟ وما طبيعة ما يحيط بها من كواكب ؟ وما الإبعاد بين كل كوكب وآخر ؟ وما طبيعة كل كوكب ؟ وهـــل فى الكواكب حياة ؟ وما طبيعة الحياة ؟ وما هى المادة ؟ وهل هى قديمة أو حادثة ؟

ثم هو فى نفس الوقت يشغل نفسه بحثـــاً عن تفسيرات للسياسة والإقتصاد والإجتماع الخ .

وفى دائرة ما وراء الطبيعة يناقش قضايا الله ، الروح ، الموت .

والعقل إذ يجهد نفسه فى دائرة الطبيعة لدرجة تجعله مقدساً لها ، نراه فى دائرة ماوراء الطبيعة عدوا يدفعه الحمق للاستخفاف والتشكيك فى كل ما يتصل بها .

فالوجودية كمذهب فكرى تطلق العنان للإنسان الفرد باسم الحرية وتأكيد الذات ليفعل كل شيء ، وليفعل أى شيء ، ولا يهم الآخرون ، لأنهم هم الجحيم ، والوجود الحقيقى هو ايجاد الإنسان لنفسه بلاوازع من قيم أو ضمير ، وعلى الإنسان أن يتحرك ليشبع كل غرائزه ، فلا وجود بعد الموت ولا آخرة ولا حساب وقضية الألوهية لامعنى لها فالإنسان هو الخالق وليس الله

والماركسية كمذهب فكرى تعتبر الفرد مجرد مسمار صغير فى عجلة

كبيرة أسمها المجتمع ، فلا حرية للفرد ولا هوية ولا ملكية شخصية ، والدين فى رأى الماركسية خرافة وهو أفيون الشعوب اصطنعته الرأسمالية لتخدر به الطبقات الكادحة ، والمادة أزلية إبدية كانت دائماً عبر الماضى السحيق موجودة وستظل عبر المستقبل موجودة (فليس للكون نهاية ولا حدود ، العالم أزلى وليس له أى بداية ولن يكون له أى نهاية)(١) ،

وكل شيء نتاج المادة ومن الأشياء الإنسان فهو إذا من نتاجها ، وليس هناك من شيء خارج عن نطاق المادة .

وعلى هذا ففى رأى الماركسية أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الإنسان لأنه عز وجل غيب، والغيب لا معنى له عندهم، وعلى العكس من ذلك فإن قضية الألوهية هى من اختراع الإنسان وليس العكس (يجب القول بأن الله والديانة هما ظاهرتان انسانيتان ، لأن العنصر الألهى هو من ابداع الإنسان وليس الإنسان هو من ابداع الله)(٢) .

والعلمانية مذهب فكرى — بل إن شئت قلت إن المذاهب الفكرية كلها يمكن أن تندرج تحت المفهوم العلمانى — تدعى العلميه فى كل توجهاتها، والحقيقة أن ما تدعية وهم وخرافة ، ودعوى لا تستند إلى دليل فواقعها يؤكد أن أساسها اللادينية، أو على الأقل إبعاد الدين عن أنظمة المجتمعات مثل النظام السياسى والإقتصادى والتعليمى والأسرى وحصره — أى الدين — فى إطار المسجد ، والتضييق عليه بالحرب النفسية حتى فى هذا الإطار المحدود ، ودعوى علمية العلمانية — التى يكذبها واقعها — لو كانت صادقة لما رفضها الإسلام . لأنه دين ينبنى فى كل أسسه على العلم ، ويدعو

---

(١) أسس المادية الديالكتيكية ص٣٩ لسبركين ، دار التقدم
(٢) أصول الفلسفة الماركسية ص ٢٤٠ جورج بوليتزر منشورات المكتبة العصرية بيروت .

دائماً للتعليم ، ويجعل العقل — الذى هو الأداة الصحيحة للتعليم والتعلم — هو أميز ما يتميز به الإنسان وهو أساس تكريمه وتحمله للمسئولية ،

والإسلام يدفع لتأسيس كل نظم المجتمع على أساس علمى.

والديمقراطية مذهب فكرى له رؤيته، ويدعو فيما يدعو إلى ضرورة منح الشعب كل حقوقه المدنية والسياسية، وإحاطته بسياج من الضمانات التى تحافظ على إنسانية كل فرد فيه وتدفعه لتأكيد ذاته.

ومن هذه الحقوق حق التعليم ، وحق العمل ، وحق الإنتقال ، وحق الإنتخاب ، وحق الترشيح ، وحق الإجتماع ، وحق الإعتراض ، وحق التوجيه .

ومن الضمانات، ضمانات الإتهام وضمانات التحقيق ، وضمانات الحكم وضمانات التنفيذ(١) .

وهذه حقوق وضمانات براقة، لها جاذبيتها وتأثيرها المسعد على النفس.

لكن واقع الديمقراطية يؤكد أن البقاء للأقوى ، ومع بقائه يحصل على كل المزايا ، ولا يبقى إلا الفتات لبقية أفراد الشعب وهم كثيرون .

والأقوى دائماً هو صاحب رأس المال، أى الطبقة الرأسمالية، وهذه الفئة هى التى تسيطر على أجهزة الإعلام، وهى التى تخطط وتوجه وتعد للترشيح، وتسيطر على نتائج الإنتخابات بتوجيه الرأى العام عن طريق الدعاية المكثفة السرية والجهرية المرغبة والمرهبة ، وهى التى تشكل الحكومات وتكون المعارضة لها وتتحكم فى خيوط اللعبة من أولها إلى آخرها .

وإذ يبدو أن الإنسان فى النظام الديمقراطى حر ، فهو حقاً حر ،

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة صـ١٨٥ وما بعدها محمد قطب ط أولى دار الشروق ١٩٨٣

إلا أن حريته مرسومة له بطريقة ذكية بحيث يفيد فى حركته الرأسمالية أو على الأقل لا يضرها .

والحرية الحقيقية له أو التى يملكها هى حريته فى رفض الدين وكل القيم والتمرغ فى وحل الخطيئة ومنها حمة الإسلام بالذات ، والعمل على هدم كل أسسه والتشكيك فى نبيه ، وقضية سلمان رشدى وكتابه الذى ملأه بالتهجم على رسول الإسلام وكل القيم الإسلامية ليست عنا ببعيد ، فقد ترك سلمان رشدى ليقول ما يقول ، وفتح الناشرون دورهم له ، وراحت أوروبا فى صخب اعلامى تصفق له ، وتدافع عن ما تسميه بحريته ، وهى فى الحقيقة تؤكد بغضها للإسلام ورسول الإسلام .

ثم هناك من المذاهب العقلانية والوضعية والبرجماطية وكلها تتحرك فى أطار رفض الدين .

٧ — وقفة نقدية قصيرة

كنا نود مناقشة الفكر الدخيل الذى يعمل جاهداً على غزو الإسلام والمسلمين ، لنقف معاً على ما فيه من وهاء وتضليل وتضارب ، إلا أننا أثرنا إرجاء المناقشة لبحث مستقل يتناول المذاهب والتيارات بالتفصيل عرضاً ونقداً .

ونكتفى الآن بهذه الوقفة القصيرة ، ولنبحث معاً من خلالها عن إنسانية الإنسان ،

لقد رأى واضعوا المذاهب والتيارات الإلحادية بعض المجتمعات الإسلامية تسير بهوادة نحو التخلف ،وترضى بفتات الموائد والسير خلف الصفوف، كما رأوا بعضاً ثانمنهايعيش بازدواجيه فى فهم الإسلام فهو فى قوله ذات تختلف تماماً عن ذاته فى الفعل والسلوك . ورأوا بعضاً آخر يحسب أن الإسلام تعصب ومغالاة فى كل شيء .

رأوا ذلك وأكثر منه ولهذا راحوا يعمقون الإحساس بالغربة بين المسلم كذات والإسلام كعقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق . وأخذوا على عاتقهم أن يكون الهدف الأول هو بلبلة فكر الإنسان المسلم وإضعاف ثقته فى دينه وفى نفسه وفى أمته ، ومن ثم يكون المسخ الحقيقى لانسانية الإنسان .

ومن الغريب — ومع انتشار التيارات الإلحادية فى كثير من أجزاء العالم الإسلامى فى صور من الغزو الفكرى . المنظم والمخيف — أننا نجد بين المسلمين من يتور — وكأنه يعيش فى برج عاجى — قائلا لماذا نتحدث عن الغزو والتيارات ؟ ولماذا هذه المقارنة وتعاليم الإسلام واضحة، لتذهب هذه التيارات إلى الجحيم .

وينسى هذا الذى يثور ويعيش وحده أن من تعاليم الإسلام الدعوة إليه حيث يقول تعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن)(١) ، وتقضى الدعوة المعـــرفة المتبصرة بكل الاتجــاهات .

وينسى أن معجزة الإسـلام الكبرى وهى القرآن الكريم معجزة عقلية ، تحث على النظر والتأمل ، وتدعو إلى إقامة الدليل والبرهان .

نعم إن تعاليم الاسلام حقيقة ثابتـة لا تتزعزع مهما اشتد الخطب ، وتـكاثفت السحب ، وهى أبقى من كل شىء وأوضح من كل شىء .

لكن أليس من حقنا — ونحن نواجه أشرس معركة فكرية دعائيـة عدائية تستهدف الأمــة كلها — أن نقف فى موضوعية لنناقش بعض الأفكار الوافدة .

وفى البدء نسأل ما هى أهم دعائم الماركسية ؟

لنعن التفـكير فمبدأ النقيض هو الأساس الذى قامت عليه الماركسية.

ويعنى هذا المبدأ أن كل شىء فى الوجود يتضمن نقيضه .

فالإنسان كشىء مادى فيـه القوة والضعف ، وفيه الوجود والعدم .

وأقول الإنسان كشىء ، لأنه ليس أكثر من هذا فى الفكر الماركسى، بل هو أحقر من أى مادة فى الوجود: فعقله الذى ميزه عن سائر المخلوقات ما هو إلا أداة عاكسة ، لما فى الطبيعة ، إذ ترى الماركسية أن المادة توجد قبل وجود العقل ، بل إن المادة موجودة أزلا وأبداً ، وهى أكثر أهمية

(١) سورة النحل الآية ١٢٥

من العقل ، لأن العقل متوقف فى وجوده على المادة ، وليس هناك عقل بدون مادة . تقول الماركسية (إن المـــادة معطى أولى ، لأنها مصدر الأحاسيس والتصورات والوعى بينما الوعى — العقل — معطى ثان ، لأنه انعكاس المادة ، وأن الفكر نتاج المادة متى بلغت هـذه المادة فى تطورها درجة عالية من الكمال ، وأن الفكر بصورة أدق هو ثمرة الدماغ)(١) .

يعنى هذا بمنتهى الوضوح إنكار وجود العقل الكامل المدبر للكون لأنه مبرأ عن المادة كما يعنى أن العقل الانسانى ما هو إلا مظهر من مظاهر المادة ، وإذا كان الإنسان شيئاً مادياً صرفا فبموته تقوم قيامته .

وعلى هذا لا حساب ولا جزاء فكلها ترهات فى نظر الشيوعية (إن ماركس لا ينكر فقط ان يبقى العقل أو الروح بعد الجسم ، بل يرفض الفكرة الأساسية فى الدين وهى الإيمان بالله كوجود أزلى مستقل تماماً ومتجرد تماماً عن المادة)(٢) .

الإنسان يجاهد الشرك طمعا فى إحدى الحسنيين الشهادة أو رد طغيان العدو ورفع كلمة الله عالية ، لكنه فى الماركسية لاجنة سوى جنة الحزب ، والحزب يطغى ويضرب بالنار فى كل وقت كل مخالف له ، إذاً لاجهاد . ولتسقط دعائم الأديان التى هى دعائم بناء المجتمع الإنسانى الراقى لتبقى دعامة النقيض الماركسية والتى تقول أن كل شىء ينتقل إلى نقيضه ، ثم ينتقل النقيض والشىء إلى جامع . فالرأسمالية تنتقل إلى العمال الذين هم نقيض لها ، وينتقل العمال والرأسمالية إلى جامع وهو الدولة ، ولا يعنون بالدولة

---

(١) أصول الفلسفة الماركسية ج ١ ص ٢٥٩ جورج بوليتزر .

(٢) الفكر الإسلامى الحديث ص ٣٦٠ د. محمد البهى — ط سادسة ١٩٧٣ دار الفكر

هنا كل أفراد الشعب — وإن كانوا يروجون لذلك تزييفاً فى أجهزة أعلامهم — وإنما يعنون بها السلطة الحاكمة أى طبقة الحزب .

لا ثبات لشيء فكل ما فى الوجود فى تغير مستمر طبقاً لهذا المبدأ ، فالمثل العليا مثل الفضيلة والحق والخير والكرامة والشجاعة والصدق والكرم والأمانة وما جاءت به الأديان من قيم سامية وبخاصة ديننا الإسلامى كلها خرافات بناء على مبدأ النقيض لأنه يعنى أن كل شيء فى صيرورة مستمرة ولا ثبات لشيء .

ولو سلمنا جدلا بمبدأ النقيض ، وتحول الشيء إلى المقابل ، ثم انتقال المقابل مع نقيضه إلى الجامع ، فنحن نسأل أليس من المفروض أن تتحول الدولة طبقاً لمبدأ النقيض الماركسي إلى مقابلها ، والمقابل للشيوعية كاتجاه مادى إلحادى هو الإسلام .

لكن التعصب الأعمى لماركس وانجاز ولينين وغيرهم يجعلهم وهم يرددون هذا المبدأ يقفون به عند الشيـ [illegible] جتمع أسمى وأشمل .

يقول الدكتور محمد البهى (ثم إن الصراع بين الدول الصغيرة سينتقل بها إلى دولة كبرى ، والدول الكبرى بمقتضى الصراع بينها ستتحول إلى العالم الواحد ، ترى هل سيقف مبدأ النقيض هنا عندما تتحقق وحدة العالم أم أن هذه الوحدة العالمية ستتفتت من جديد تبعاً لأن الشيء وهو هنا وحدة العالم ينطوى على نقيضه إلى دويلات وهكذا ؟

إن الماركسية كما تؤمن بمبدأ النقيض وتلزم الناس بقبول نتائجه تؤمن أيضاً بالتخلف عن كثير من نتائجه ، تؤمن بالوقوف به فى سيره عند الوصول إلى الدولة ذات الطبقة الواحدة وهى الدولة الشيوعية ، وهذا مما يجعل الفلسفة الماركسية فلسفة تبرير أكثر منها فلسفة تخدم الحقيقة

بالكشف عنها ، ويجعلها فلسفة هوى ورغبة أكثر منها فلسفة فكرة لها اعتبار عام(١) .

وإذا سألنا لماذا تقفون بالنقيض عند الشيوعية ؟ ولماذا لا تحمل الشيوعية كشيء نقيضها ؟ ونقيضها هنا هو الإسلام ؟

لا نجد إجابة سوى التضليل والخداع ومحاولة إبعاد الفرد والجماعة بالقوة والإرهاب عن الاحتكاك بأى فكر خارج عن الدائرة الشيوعية حتى لا يفهم الحقيقة .

المادة هى الاساس :

وتقول الماركسية بأزلية المادة وأبديتها ، اعتقاداً منها بأن المادة لا تفنى ولا تستحدث من العدم . ويسأل الماركسيون فى دهشة واستنكار ، هل يمكن أن يعطى العدم مادة ؟ ويجيبون على أنفسهم بالطبع لا ، إذا فالماده أزلية وأبدية ، والمادة والطبيعة شيء واحد (المادة قد وجدت دائماً لأننا إذا سلمنا بأنه فى وقت من الأوقات لم يكن شيء فى العالم ، أى لم تكن توجد مادة فمن اين لها أن تنشأ ولكن ما أن توجد المادة فهذا يعنى أنها لم تنشأ فى أى وقت من الأوقات بل وجدت دائماً ، وستوجد دائماً ، فهى أبدية وخالدة .

ولهذا لم يمكن أن تخلق ، فلا يمكن أن يخلق ما لا يمكن إفناؤه)(٢) .
وأسأل بدورى هل يعنى عجز الإنسان فى قرننا العشرين عن إيجاد

---

(١) الفكر الإسلامى الحديث ص ٣٧٥

(٢) أسس المادية الديالكتيكية ص ٣٠

المادة من العدم أن المادة لم تأت من العدم ؟ وهل يعني عجزه عن افناء المادة الموجودة بالفعل أن المادة لا تفنى ؟ إن واقع الأمر يبنى قصور الإنسان عن الخلق من العدم أو الافناء كلية وهذا القصور لا يثبت صحة القول (بأن المادة لا تفنى ولا تستحدث من العدم) بل يؤكد العجز الإنسانى ، ونستأنس ببعض النصوص دون أن نعلق عليها ، والتى تؤكد فناء المادة وزوالها ،وحدوث الكون منذ زمن بعيد ،ثم اتجاهه نحو الفناء أو الزوال .

١ — يقول فرانك الن استاذ الطبيعة الحيوية بجامعات كندا «ولكن قوانين الديناميكا الحرارية تدل على أن مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجيا ، وأنها سائرة حتما إلى يوم تصير فيه جميع الأجسام تحت درجة من الحرارة بالغة الانخفاض هى الصفر المطلق ، ويومئذ تنعدم الطاقة وتستحيل الحياة .

أما الشمس المستعرة ، والنجوم المتوهجة ، والأرض الغنية بأنواع الحياة فكلها دليل واضح على أن أصل الكون ، أو أساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة (١) » .

٢ — وهذا جون كليفلاند رئيس قسم العلوم الطبيعية بجامعة دولث يخرج بنتيجة بعد ملاحظات وتجارب معملية عديدة يقول فيها : « تدلنا الكيمياء على أن بعض المواد فى سبيل الزوال أو الفناء ، ولكن بعضها يسير نحو الفناء بسرعة كبيرة ، والآخر بسرعة ضئيلة ، وعلى ذلك فإن المادة ليست أبدية ، ومعنى ذلك أيضا أنها ليست أزلية إذ أن لها بداية... وعلى ذلك فإن هذا العالم المادى لا بد أن يكون مخلوقا ، وهو منذ أن خلق يخضع لقوانين وسنن كونية محددة (٢) »

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ص ٦
(٢) الله يتجلى فى عصر العلم ص ٢٥

٣ — ويقول إدوارد لوثر رئيس قسم الأحياء بجامعة فرانسيسكو : إن العلوم تثبت بكل وضوح أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزليا ، فهناك إنتقال حرارى مستمر من الأجسام الحارة إلى الأجسام الباردة ، ولا يمكن أن يحدث العكس بقوة ذاتية .. ومعنى ذلك أن الكون يتجه إلى درجة تتساوى فيها حـــرارة جميع الأجسام ، وينضب فيها معين الطاقة ، ويومئذ لن تكون هناك عمليات كيماوية أوطبيعية ، ولن يكون هناك أثر للحياة نفسها فى هذا الكون ، ولما كانت الحياة لا تزال قائمة ، فإننا نستطيع أن نستنتج أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزليا وإلا لاستهلكت طاقته منذ زمن بعيد وتوقف كل نشاط فى الوجود ... ولا يقتصر ما قدمته العلوم على إثبات أن لهذا الكون بداية ، فقد أثبتت فوق ذلك أنه بدأ دفعة واحدة منذ نحو خمسه بلايين سنة(١) .

٤ — ويؤيد هذا الرأى ايرفنج وليام أستاذ العلوم الطبيعية فى جامعة ميتشجان حيث يقول : « فعلم الفلك مثلا يشير إلى أن لهذا الكون بداية قديمة ، وأن الكون يسير إلى نهاية محتومة ، وليس مما يتفق مع العلم أن نعتقد أن هذا الكون أزلى ليس له بداية أو أبدى ليس له نهاية فهو قائم على أساس التغيير »(٢) .

والمادة والطبيعة شىء واحد فى مفهوم الماركسية ، ومن الطبيعة نتج كل شىء حتى الإنسان ، وخارج نطاق الطبيعة لايوجد أى شىء ، وفكرة الألوهية هى من صنع الخيال البشرى وعلى هـــذا فإن [الطبيعة توجد مستقلة عن كل فلسفة فهى الأساس الذى نمونا عليه ، نحن الناس نتاجها

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ص ٢٧
(٢) الله يتجلى فى عصر العلم ص ٥٣

أيضا ، وخارج الطبيعة والإنسان لا يوجد شيء ، أما الكائنات العلوية التى ولدت فى مخيلتنا الدينية فليست سوى إنعكاس خيالى لوجودنا نحن](١) .

وتدعى الماركسية [أن تطور الطبيعة ، وتطور المجتمعات الإنسانية يحدثان طبقاً لقوانين موضوعية لا تتوقف على إرادة الإنسان] .

النقيض إذا يتحول إلى نقيضه والطبيعة تتطور تلقائيا ، والمجتمعات فى تغير مستمر نتيجة للصراع ، والإنسان لا يد له فى أى شيء ، والله سبحانه وتعالى بل وعالم الغيب كله من إختلاق المخيلة البشرية.وإذا سألناهم عن ما وراء كل ما يحدث فى الكون ، وعن النظام والتدبير والإتقان المستتر وراء كل ذرة فى الوجود .

قالوا : وراء كل ذلك قوانين موضوعية حتمية .

وإذا سألنا ومن وضع القوانين الموضوعية الحتمية ؟

قالوا : القوة العامة التى هى الطبيعة .

وإذا سألنا هل الطبيعة عاقلة واعية مقدرة للأبعاد المختلفة ، وفاهمة للقوانين المعقدة ، ومستترة لأحداث الماضى والحاضر والمستقبل ، وعالمة بتكوين الظواهر قبل أن تتكون ومم تتكون وكيف تبقى على تكوينها ومتى يتغير هذا التكوين وكيف ولم هو على صورة كذا وليس على صورة كذا ؟

قالوا : لا . الطبيعة ليست بعاقلة ، وإنما هى متضمنة للعقل .

ونعجب من قولهم ومصدر عجبنا أننا نرى الطبيعة بكماء عمياء جاهلة

---

(١) لودفيج فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية ، ص ١٦ انجلز .

مقهورة لا مشاعر لها ولا ضمير ولا خلق ومع ذلك فهى فى رأيهم متضمنة للعقل .

ومع هذا نسايرهم ونسأل ومن ضمنها العقل ؟

يقولون : القوانين :

ونعجب من قولهم ونحن نقول :أليس هـذا هو الدور الفلسفى الذى يبطله العلماء ، فالطبيعة تعودفى سيرها للقوانين ، والقوانين ترجع فى النشأة إلى القوة العامة التى هى الطبيعة .

أليس من الاجدى لكل ماركسى أن يتعرف على ذاته أولا وعلى تكوينه وممم خلق «فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب »(١) ، من ماء دافق وهو المنى كان خلقه وعلى الانسان أن يسأل نفسه هل هو الذى خلق المنى الذى هو منه، أو الذى غيره منه ؟

يقول سبحانه «أفرأيتم ما تمنون ـ أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون»(٢) إن التكوين الانسانى كما يقول القرآن الكريم والعلم الحديث من نطفة امشاج ، أى من خليط من منى الرجل وبويضة الانثى ،وهنا يأتى سؤال هل فى إمكان الانسان أن يخلق ما تكونت منه هذه النطفة الامشاج ؟

إن العلم فى قرننا العشرين مع كل ما وصل إليه من تقدم عاجز تماما عن خلق الحيون أو البويضة اللذان هما سر تكوين الخلية ، وإذا كانت الإجابة بالنفى وهى كذلك بالطبع فعلى الإنسان أن يسأل هل فى تكوينه نظام واتقان ؟ وهل وجد النظام والاتقان فيه بطريقة عشوائية ؟

---

(١) سورة الطارق الآيات ٥—٧

(٢) الواقعة الآيتان ٥٨ — ٥٩

ثم عليه أن ينتقل بعد ذلك إلى مقارنة بسيطة بينه وبين الطبيعة وليسأل نفسه أيهما أقدر هو أم الطبيعة ؟

ولسوف يجد نفسه فى النهاية أنه الأقدر والأعقل والأكثر اختيارا، لأنه استطاع أن يخضع بعض ما يحيط به لخدمته، واستطاع بتعقله أن يصل إلى القمر، وهو بنفس العقل سوف يصل إلى كواكب اخرى فى المجموعة الشمسية، وربما فى مجموعات غيرها .

وإذا كان الانسان هو الاقدر والاعقل فكيف يكون مالا قدرة له ولا عقل له هو أساس وجوده، وأساس تطوره، والقائم على حفظه، وامداده بكل ما يحتاج إليه .

إن الانسان لم يصل عبر الأزمنه المتطاولة وحتى الآن إلا إلى معرفة سطحية لقشور بعض الاشياء، ولسوف يحاول طالما وجد على الأرض، ولن يعرف الحقيقة إلا إذا عرف نفسه، وإذا عرف نفسه حق المعرفه. فلسوف يعرف أشياء كثيرة كما يقول سقراط اعرف نفسك فمعرفة النفس تكون معرفة الوجود .

ومن أول ما سوف يعرفه من عرف نفسه، أنه مخلوق وليس بخالق، وأن خالقه هو الذى خلق الطبيعة بكل مكوناتها من العدم المطلق، وأنه هو الذى وضع فيها كل القوانين المعقدة التى تحكم جزئياتها، وأنه وحده متصف بكل كمال ومـــنزه عن أى نقص؛ ومن كمالاته قدرته على تأييس الأيسات عن ليس أى إيجاد الاشياء من العدم يقول سبحانه « هل اتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا »(١) .

---

(١) الانسان الآية ١

ويقول عز وجل « الم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه فى قرار مكين. إلى قدر معلوم . فقدرنا فنعم القادرون . ويل يومئذ للمكذبين. الم نجعل الأرض كفانا . أحياء وامواتا. وجعلنا فيها رواسى شامخات واسقيناكم ماء فراتا »(١).

ومن كمالاته تسخير كل شيء لخدمة الانسان يقول سبحانه وتعالى « وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ، وما ذرا لكم فى الأرض مختلفا الوانه إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون ، وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون. وعلامات وبالنجم هم يهتدون . أفمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم »(٢).

والعناية بكل ما يتصل بالانسان يقول سبحانه « الم نجعل الأرض مهادا ، والجبال أوتادا ، وخلقناكم أزواجا ، وجعلنا نومكم سباتا ، وجعلنا الليل لباسا ، وجعلنا النهار معاشا ، وبنينا فوقكم سبعا شدادا ، وجعلنا سراجا وهاجا ، وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا ، لنخرج به حبا ونباتا ، وجنات الفافا »(٣).

والآيات الكريمات من سورة الطور تذكر الانسان فى كل زمن ومكان بأن العدم لم يخلقه ، وأنه لم يخلق نفسه ، وهو بالتالى لم يخلق

---

(١) المرسلات الآيات من ٢٠ إلى ٢٧
(٢) النحل الآيات من ١٢ إلى ١٨
(٣) النبأ الآيات من ٦ إلى ١٦

السموات والأرض وإذا كان الأمر كذلك فان خالقه هو الرحمن الرحيم مالك كل شيء يقول سبحانه «أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون، أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون»(١).

والقرآن الكريم يقول للانسان «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد»(٢).

ويقول له «وفى انفسكم افلا تبصرون»(٣).

ورغم وضوح ما فى الافاق من نظام وتدبير واتقان وعناية وقوانين تؤكد الدقة فى كل شيء.

وعلى الرغم من وضوح ذلك أيضا فى الانسان، بل فى الكون كله، إلا أن أصحاب المذهب الماركسى يجمدون عقولهم، ويصمون أذانهم، ويغلقون عيونهم ويصرون على الكفر وعدم معرفة الحق وتراهم يرددون القول بأزلية المادة وابديتها، وبأن كل شيء هو من نتاج المادة.

والجمود على الكفر ليس بجديد، ولا هو وليد التقدم العلمى، بل هو قديم قدم الدهر، وهو وليد حتمى للجهل والتقليد والعمى والهوى والتسلط والعناد والمكابرة.

فنوح عليه السلام دعا قومه «أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون، يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون، قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا، فلم يزدهم دعائى إلا فرارا. وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا»(٤).

---

(١) الطور الآيتان ٣٥ — ٣٦

(٢) فصلت الآية ٥٣

(٣) الذاريات الاية ٢١

(٤) نوح الآيات من ٣ إلى ٧

وقوم هود قالوا له فى عناد وتكبر « اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا »(١).

وقوم صالح قالوا له : « ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفى شك مما تدعونا إليه مريب » (٢) .

وقوم شعيب قالوا له : «ياشعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز »(٣) .

ويقص القرآن الكريم ما حدث بين إبراهيم عليه السلام وبين قومه فى مواقف متعددة منها قوله «واتل عليهم نبأ ابراهيم، إذ قال لابيه وقومه ما تعبدون ، قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين ، قال هل يسمعونكم إذ تدعون ، أو ينفعونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون »(٤) .

ويقول فرعون وقومه لموسى عليه السلام كما يقص القرآن الكريم «قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبريا فى الأرض وما نحن لكما بمؤمنين »(٥) .

وموقف المشركين من رسول ﷺ واضح يقول القرآن الكريم « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه أباءنا أو لو كان أباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون . ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون »(٦).

---

(١) الاعراف الآية ٧٠
(٢) هود الآية
(٣) هود الآية ٩٠
(٤) الشعراء الآيات ٦٩—٧٤
(٥) يونس الآية ٧٨
(٦) البقرة الآيتان ١٧٠ — ١٧١

وفى آية أخرى يحكى القرآن الكريم قولهم (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون)(١) والآية التالية لها وفى نفس السورة تواسى الرسول صلى الله عليه وسلم وتحدد طبيعة المشركين فى كل عصر ومع كل رسول يقول سبحانه (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون).

لا جديد فى الكفر فماركس اليهودى الالمانى يتلقف الكفر والجحود من الماديين السابقين ليلقى به فى ثوب مزخرف باسم الماركسية تارة والاشتراكية العلمية تارة ثانية والشيوعية تارة أخرى فى أيدى من يسير على دربه من مادى هذا العصر وإذا نوقشوا قالوا إنا وجدنا آباءنا واخذوا يلفون فى متاهات لفظية جدلية . فلما قال آباؤهم يقولون إن الحياة أساسها المادة تكونت بفعل الطبيعة ، وعن طريق المصادفة ، التى أحدثت مزج العناصر بعضها ببعض وأحدثت التنسيق العجيب فى الكون.

ونحن لا نطمع إلا فى طلب واحد نريد أن يستجيب لنا فيه أى ماركسى يؤمن بصدق المصادفة .

نريده أن يبدأ من الآن وحتى نهاية عمره فى تحريك صندوق به عدد كبير من حروف الطباعة ، وليأت لنا فى نهاية المطاف بصحيفة واحدة من أى كتاب يحدده هو ركبت بالمصادفة ونتيجة للتحريك العشوائى للصندوق .

إن قانون المصادفة يقول « إن حظ المصادفة من الاعتبار يزد د وينقص بنسبة معكوسة مع عـــدد الامكانيات المتزاحمة فكلما قلت الامكانيات المتزاحمة زادت المصادفة ، وكلما زادت الامكانيات المتزاحمة قلت المصادفة » .

---

(١) الزخرف الآية ٢٢ .

وعالمنا تتزاحم فيه الامكانيات ، فهل يمكن أن يوجد بكل تنظيماته نتيجة للمصادفة ؟ أعتقد أن من يقول بذلك يلغى عقله ،

الدين فى رأيهم خرافة ومخدر :

والماركسيون يعتقدون أن العقل إنعكاس للمادة ، أى أنه يعكس كل ما فى الطبيعة وليس فى الطبيعة إلا المادة ، وما ليس كذلك فهو خرافة فالروح والعقل المجرد والدين خرافة .

يقول فردريك انجلز « ومهما يكن من شيء فليس الدين إلا الانعكاس الوهمى فى أذهان البشر ، لتلك القوى الخارجية التى تسيطر على حياتهم اليومية ، وهو إنعكاس تتخذ فيه القوى الأرضية شكل قوى فوق طبيعية »(١) .

إنهم يفسرون نشأة الدين — كعادتهم فى كل شيء — تفسيرا ماديا صرفا فالإنسان الأول « تدين لأنه كان جاهلا بقوانين الطبيعة من حوله فصنع من قوى الطبيعة آلهة ... ولأنه كان جاهلا بالبيئة وغير قادر على السيطرة عليها جعل من أشجارها وحيواناتها آلهة مصورة ... أما فى العهد الاقطاعى فالناس متدينون لأن عملية الإنتاج تشتمل على جانب لا يملك الإنسان السيطرة عليه وهو جانب الانبات والإنماء ... فيتخيل — الإنسان — قوى غيبية يسند إليها إخراج الزرع ... ومن جانب آخر فإن الطبقة الحاكمة فى الإقطاع أو الرأسمالية تستخدم الدين الذى هو

(١) انتى دوهرنج ص ٣٨١ انجلز ترجمة فؤاد ايوب دمشق سنة ١٩٦٥ :

أسطورة — فى تخدير الجماهير الكادحة لترضى بالظلم فى الأرض طمعا فى الجنة فى الآخرة»(١) .

فالجهل والعجز والرغبة فى تخدير الطبقات الكادحة أسباب رئيسة فى نشأة الدين .

ونحن مع الشيخ محمد قطب فى رفضه لهذا التفسير المادى لنشأة الدين ، واعتباره هذا التفسير فيه الكثير من التعسف .

ولو كان الماركسيون جادين مع أنفسهم لناقشوا الأمر بطريقة علمية ، ولحاولوا استقراء الواقع البشرى عبر الأزمنة المتطاوله فى الماضى البعيد .

وبالموضوعية وحدها سيكتشفون أن التدين هو من طبيعة الإنسان «فطرة الله التى فطر الناس عليها»(٢) وعلى الإنسان فقط أن يزيل عن فطرته ما ران عليها من ضباب كثيف بسبب عناده واستكباره وتعاليه وجموده .

وإذا سلمنا جدلا بأن من أسباب نشأة الدين عند الإنسان الأول الجهل والعجز ، وأن الإقطاعيين عملوا على الترويج لفكرة الدين من أجل تخدير الطبقة الكادحة .

فنحن الآن نعيش فى القرن العشرين الميلادى ، وقد عرف الإنسان كثيرا من ما كان يجهله ، وصار قادراً على السيطرة على الكثير من أمور الطبيعة ، وفى جانب الزراعة أحاط علما بالتربة وعوامل الانبات والانماء

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة ص ٣٤٤ الشيخ محمد قطب .
(٢) الروم من الآية ٣٠

وبقدرته فجر الذرة ، وصنع الكثير من أجهزة الدمار ، كما صنع الكثير من الأجهزة العملاقة والدقيقة .

وهنا يأتى سؤال لماذا مع هذا التقدم العلمى لم يختف الدين والتدين من بين البشر ؟ ولماذا نرى الكثير من العلماء والعلميين يتمسكون بالدين ، ويجهدون أنفسهم فى توضيحه للناس والدفاع عنه (١) ؟ ولماذا نسمع أن فلانا من العلماء أقلع عن الحادة وعاد إلى الدين ؟

وإذا كان الدين مخدرا من صنع الطبقات الرأسمالية فلماذا يتدين الكثير من الرأسماليين ؟ ولماذا تقام الصلوات على جنائزهم بعد موتهم ؟ وبعضهم قادة عظام ؟

أليس من الاجدى للإنسانية أن تنقب فى علمية وعقلانية عن أدلة أخرى لوجود الخالق ، حتى تتمكن من خلالها من إزالة ماران على الفطرة من ضباب .

إنها لو فعلت لعرفته المعرفة الصحيحة وأن ذاك تكون قادرة على تلقى القيم الدينية التى تصلح من شأن كل إنسان .

إن الماركسية مع رفضها للدين تعتبره أكبر معوق لحركة الفرد « فالدين لا يكتفى بتشويه نظرة الانسان العامة إلى العالم بل يشوه كذلك مشاعر الانسان وموقفه العاطفى من الواقع » (٢) .

---

(١) راجع إذا أردت — العلم يدعو للإيمان ، لاكريسى موريسون — والله يتجلى فى عصر العلم مجموعة من العلماء الأمريكان ، والاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ، وقصة الايمان ، نديم الجسر .

(٢) النظرية الماركسية اللينينيه ص ٤٤٦ ترجمة خيرى الضامن . دار التقدم .

واتباع الديانات فى رأى الماركسيين لا يخرجون عن هذه الأنماط الثلاثة :

١ — متواكل لا يعمل اعتماداً على غيب يعطى دون طلب وهؤلاء سلبيون يأخذون دون أن يعطوا ويؤدى أخذهم المستمر إلى إحداث خلل فى الطريق إلى التقدم .

٢ — مخدر يرضى بالذل ويقتات الأشواك طمعا فى جنة موهومه تدفعه الرأسمالية إلى التعلق بها وهؤلاء هم والأموات سواء .

٣ — مالك متسلط بملكيته على الغير ، يأخذ كل شىء ولا يعطى إلا الفتات للجوعى بعد أن يسلبهم آدميتهم .

وهؤلاء إيجابيون مع أنفسهم ، مستعبدون لغيرهم .

ويؤكد الماركسيون رؤيتهم هذه بقول ماركس « إن الفرد يبتعد ويتحول عن حقيقة ذاته ، باعتقاده فى وجود الله ، أو فى الديانات المختلفة التى تستغرق ذاته وكيانه ، ولهذا يجب إزالة تلك العوامل ليتيسر للفرد أن يعود للحياة الحقة » .

قد يكون فى هذا الكلام جزء من الحقيقة إذا وضع فى مقابلة المسيحية ، ولا نعنى بالمسيحية مسيحية عيسى عليه السلام ، وإنما نعنى المسيحية التى جاء بها بولس كما سنوضح فيما بعد ،

فهى مسيحية تلغى العقل وتدفع بالإنسان إلى التواكل والسلبية وتقبل الأمور دون أى تفكير .

ونعنى بها مسيحية صكوك الغفران ومحاكم التفتيش .

أما إذا وضع كلام الماركسيين فى مقابلة التعاليم الإسلامية ، فإن هذه التعاليم ترفضه شكلا وموضوعاً .

ويكفينا أن نتعرف سريعاً على بعض النصوص التى تؤكد ما نقول .

فالإسلام دائماً يحث على النظر والتأمل والتفكر فى كل شىء ، وينهى عن التقليد والتعصب ، ويطالب فى أى موقف بالدليل والبرهان يقول سبحانه وتعالى [وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسكم أفلا تبصرون](١) ويقول سبحانه [إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب](٢) ويقول [أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض](٣) ويقول سبحانه [بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم](٤) ، ويقول [فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون](٥) .

والإسلام لا يسوى بين العالم والجاهل [قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب](٦).

ويقول سبحانه (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)(٧)

---

(١) الذاريات الآيتان ٢٠ — ٢١
(٢) آل عمران الآية ١٩٠
(٣) الأعراف الاية ١٨٥
(٤) الروم الآية ٢٩
(٥) النحل الآية ٤٣
(٦) الزمر الآية ٩
(٧) المجادلة آية ١١

والإسلام دائماً يخاطب فى الإنسان عقـله (والعقل الذى يخاطبه الإسلام هو العقل الذى يعصم الضمير، ويدرك الحقائق، ويميز بين الأمور ويوازن بين الأضداد، ويتبصر ويتدبر)(١).

وحركة الإنسان تصير مشلولة إذا ألغى عقله، أما إذا كرم بالعقل وخوطب من خلال العقل، ودفع إلى معرفة كل شىء بالعقل وصار مسؤولا لأنه مزود به، فلا معنى للجمود ولا للتواكل ولا للتخدير، بل لا معنى للتسلط على الغير فالكل فى ميزان الإسلام سواء، لا فرق بين إنسان وآخر إلا بميزان التقوى والعمل الصالح يقول سبحانه «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم»(٢).

والإسلام يؤكد حرية الفرد حتى فى الدين يقول سبحانه «وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر»(٣) ويقول «لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى»(٤) وفى هذا الإطار يقول الرسول ﷺ «بعثت بالحنيفية السمحاء» ويقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً».

ومع المساواة والحرية فى الإسلام يكون العدل فى أسمى صوره يقول تعالى «إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القـربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون»(٥) ويقول فى آية

---

(١) التفكير فريضة إسلامية ص ١٧ العقاد ط بيروت.
(٢) الحجرات الآية ١٣ (٣) الكهف الآية ٢٩.
(٤) البقرة الآية ٢٥٦.
(٥) النحل الآية ٩٠.

أخرى « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل »(١) .

ولهذا نرى محمداً ﷺ يغضب حينما أراد أسامة بن زيد أن يشفع للمرأة التى سرقت ، ويقول لأسامة « أتشفع فى حد من حدود الله » ؟! وقام ﷺ فخطب الناس وقال : « إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها »(٢) .

والإنسان فى الإسلام خلق من مخلوقات الله مسبوق بالعدم وليس للصدفة أو التطور كما يقول داروين أى دور فى تكوينه .

وهو لم يترك هملا بل زود بما يعرفه الطريق ، ويطلعه على كثير من المحسوسات يقول تعالى « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون »(٣) .

وليس كما مهملا أو مادة تعيش لتأكل بل هو مستخلف على الأرض ، وهو معلم من الله سبحانه وتعالى ومكرم على بقية المخلوقات ومسخر له كل شىء فى الكون وهو مسئول مسئولية كاملة عن كل ما يصدر منه ، ولم يكن التكريم وتحمله المسئولية إلا لأنه مزود بالعقل الذى يميز به بين الخير والشر وبين الفضيلة والرذيلة ، وعن طريقه يحقق التوازن بين روحه وجسده « العقل فهم وفكر يتقلب فى وجوه الأشياء ، وفى بواطن الأمور

---

(١) النساء الآية ٥٨ .
(٢) رواه البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها .
(٣) النحل الآية ٧٨ .

العقل رشد يميز بين الهداية والضلال ، العقل روية وتدبير ، العقل بصيرة تنفذ وراء الأبصار ، والعقل ذكرى تأخذ من الماضى للحاضر وتجمع العبرة مما كان لما يكون وتحفظ وتعى وتبدىء وتعيد» (١) .

وهذا العقل الذى هو نعمة من الله سبحانه وتعالى للإنسان ، يعلم سبحانه أنه — أى العقل — ربما يصاب بالكلال ، وربما ضللته مرئيات زائفة وربما انخدع واغتر بنفسه فأودى به الغرور فى الجمود عند مواقف تضر .

ولهذا نجــده سبحانه امتداداً لتكريم الإنسان وتأكيد حريته ومسئوليته يرسل له الرسل ليضعوا إجابات واضحة عن كثير من التساؤلات يقول تعالى « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما» (٢) .

والإسلام إذ يتابع الإنسان الفرد ليحدد له الطريق المتوازن يتابع الجماعة بالمبادىء التى تشعرهم جميعاً بالمساواة ، فلا تسلط من أحد على أحد ولا سخرية من أحد لأحد ولا تجسس ولا اغتياب ولا أفضلية إلا بالتقوى التى تتضمن تلقائياً السلوك السوى لكل أفراد المجتمع البشرى .

والإسلام وهو يسوى بين الجميع يحدد الشكل والمضمون للحاكم المسلم .

وقف أبو بكر الصديق رضى الله عنه بعد أن تمت بيعته ، يلقى ما اصطلحنا على تسميته فى العصر الحديث بورقة عمل الحكومة فقال بعد أن

---

(١) الإنسان فى القرآن الكريم ص ١٦ عباس محمود العقاد دار نهضة مصر .

(٢) سورة النساء الآية ١٦٥ .

حمد الله وأثنى عليه (أما بعد أيها الناس فإنى قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله)(١) .

ونستطيع أن نستشف من هذا الخطاب ما يلى :

١ — رئيس الدولة شخص من الشعب لا يعطيه الحكم قداسة يستعبد بها المحكومين .

٢ — المشاركة الكاملة فى شئون الدولة بين الحاكم والمحكوم فى الخير والشر من أهم الأسس لإقامة مجتمع الحب والرفاهية .

٣ — النقد الإيجابى حق مكفول للجميع دون تمييز أو عنصرية .

٤ — الجهاد أمانة وهو فرض حين الاعتداء على الدولة الإسلامية .

٥ — التمسك بالقيم والمثل العليا رباط مقدس يربط الحاكم بالمحكوم ، وهذا الحاكم لا يصعد للحكم بالدم والصراع وأجهزة التسلط والتعنت كما فى الشيوعية بل يأتى بالشورى المطلقة يقول تعالى « وأمرهم شورى بينهم » .

ومبدأ الشورى الذى يرفع من كرامة الإنسان يعطيه فى نفس الوقت حق التعبير عن نفسه بحرية وهو فى أمن على حياته وحاجاته الأساسية .

والإسلام لا يدعو إلى اعتناقه بالقهر والتزييف والتسلط الإعلامى

---

(١) تاريخ الخلفاء ص ٦٩ للإمام السيوطى .

وإنما بالحكمة والسماحة ، يقول تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » (١) .

ويقيم علاقاته بالمجتمعات على أساس السلام حتى أن الرسول ﷺ يقول : « إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم ، فإذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة » (٢) .

ويقول ﷺ « يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » (٣) .

ولا تواكل في الإسلام بل توكل أي أخذ بالأسباب واعتماد على الله سبحانه وتعالى يقول الرسول ﷺ للرجل الذي قال له يا رسول الله أعقل الناقة أم أتوكل فقال له « اعقلها وتوكل » (٤) .

والإسلام لا يدفع الإنسان للتكاسل بل يأمره بالعمل والأخذ بالأسباب دائماً يقول سبحانه « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » (٥) .

ويقول عز وجل « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » (٦) ويقول سبحانه لمن ضاق عليه المكان « ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة » (٧) . والخيرية دائماً للمؤمن القوي وهو ذلك الذي يحرص على الأخذ بالأسباب ، ويطلب العون من

---

(١) النحل الآية ١٢٥ .
(٢) رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن .
(٣) رواه الترمذي وقال حديث حسن .
(٤) ذكره الترمذي في صحيحه . (٥) الملك الآية ١٥
(٦) الجمعة الآية ١٠ . (٧) النساء الآية ١٠٠

الله ثم يرضى فى النهاية بالنتائج دون ضجر أو تمرد ، وهو إذ يفعل هذا يخرج نفسه من دائرة الاضطراب والقلق النفسى ، إلى دائرة الأمن والطمأنينة والسعادة الداخلية وبذلك يؤكد ذاته ويعيش سوياً مع الأسوياء.
يقول الرسول ﷺ «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير ، احرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وماشاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان» (١).

---

(١) رواه مسلم .

ثانيا : ـ البعد اليهودي

ا ـ موقفهم من الالوهية .

ب ـ موقفهم من الأنبياء .

حـ ـ فكرتهم عن أنفسهم .

د ـ نظرتهم لما عداهم من الشعوب .

هـ ـ وقفة مع بروتوكولات حكماء صهيون .

و ـ مواقف لليهود ضد الاسلام .

البعد اليهودى

قام اليهود وما زالوا يقومون بمحاولات فكرية ، تستهدف النيل من ما عداهم عموما ، والتشكيك فى الإسلام وابعاده عن ركب الحياة ، وتفتيت وحدة المسلمين ، وتشتيت قواهم وابعادهم عن القيم الدينية ، وسلبهم كل مقومات الحضارة ، وصبغهم بالصبغة العلمانية على وجه الخصوص ، لاحساسهم أن الخطر الحقيقى الذى يتهددهم أنما يكمن فى الإسلام ، ولرغبتهم الشريرة فى أغتصاب كل ما لدى المسلمين من ثروات ، واليهود يعتبرون أنهم شعب الله المختار، وأنهم وحدهم مستحقون للحياة وللسيادة على الأرض .

وبنظرة بسيطة فى توراتهم المحرفة ،وتلمودهم الذى يعتبرونه التفسير الحقيقى لما فى التوراة ، والحامل لشريعتهم — رغم أنه من تأليف علمائهم — وفى البروتوكولات التى هى فى الأساس تقرير واف، وخطة محكمة لحركتهم عبر الماضى والحاضر والمستقبل .

يتبين لنا ما يلى :

(أ) موقفهم من الألوهية .

(ب) موقفهم من الأنبياء .

(جـ) موقفهم من أنفسهم .

(د) نظرتهم لما عداهم من الشعوب .

وقد تضافرت العناصر السابقة مع عنصر الاضطهاد الذى تعرضوا له عبر تاريخهم الطويل ، ونتج عن هذا حنقهم الشديد على البشرية كلها ، ورغبتهم الجامحة فى إبادة ما عداهم من الشعوب ، إبادة جسمانية ، أو إبادة معنوية .

ولذا تراهم يزرعون الأشواك، ويبثون الفتن، ويعملون على نشر الأفكار الهدامة، ويقاومون العقائد الصحيحة، بأباطيل من عند أنفسهم، ويفتتون وحدة المجتمعات.

ومخططاتهم الشريرة تسعى لتدمير جميع الحكومات الشرعية وتقويض الأديان السماوية، وتقسيم الشعوب إلى معسكرات متنابزة فيما بينها بشكل دائم حول عدد من المشاكل التي تتولى المؤامرة توليدها واثارتها باستمرار، ملبسة إياها ثوبا إقتصاديا تارة وأخرى إجتماعيا وثالثة سياسيا ورابعة عنصريا ... وبث سموم الشقاق والنزاع داخل البلد الواحد وتمزيقه إلى فئات متناحرة وإشاعة الحقد والبغضاء ... حتى تتقوض جميع مقومات المجتمع الدينية والأخلاقية والمادية... تمهيدا لنشر الفوضى والكفر والفسق والإرهاب والإلحاد (١).

(١) اليهود وراء كل جريمة ص ٦٢ وليم كار.

ولنعد للقضية من جديد

(١) موقفهم من الألوهية .

يرون أن الأله ذو جسم وهو يسير أمامهم فى عامود سحاب بالنهار وعمود نار بالليل (وكان الرب يسير أمامهم نهارا فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق ، وليلا فى عامود نار ليضىء لهم لكى يمشوا نهارا وليلا) (١) .

وفى دائرة التجسيم أيضا نجدالههم جسما بحيث رؤى تحت رجليه قطعة من العقيق الأزرق وهو ما يوضحه النص التالى من سفر الخروج (ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل وراوا آله إسرائيل وتحت رجلية شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف ، وكذات السماء فى النقاوة ، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل) (٢) .

والقرآن الكريم يؤكد أنهم يجسمون الأله حيث يحكى قولهم لرسولهم عنادا واستكبارا (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة (٣) وقالوا أيضا كما يحكى القرآن الكريم (أرنا الله جهرة) (٤) تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا يقول القرآن الكريم (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) (٥) فهو عز وجل منزة عن الشبيه والنظير والند فى الذات ، إذ أن ذاته لا تتركب من أجزاء وليست هناك ذات تشبه ذاته ، كما أن صفاته لا تشبه

(١) سفر الخروج إصحاح ١٣

(٢) الاصحاح ٢٤ سفر التكوين .

(٣) سورة البقرة الآية ٥٥

(٤) سورة النساء الآية ١٥٣

(٥) سورة الشورى ١١

صفات المخلوقين وليست له عز وجل صفتان من جنس واحد ، وافعاله عز وجل إيجاد من العدم ، أما أفعال المخلوقين فهى محاكاة أو تقليد لما هو مخلوق .

وهو إله فى رأيهم يتعب ، ويبارك اليوم الذى فيه فرغ من العمل ، لأنه سيستريح فيه يحكى التوراة قصة بدء الخلق وفيها يقول « وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأن فيه استراح من جميع عمله الذى عمل » (١) .

والقرآن الكريم المنقول بالتواتر المأمون من الخطأ يوضح أن الله تعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما دون تعب أو مشقة لأنه الإله الحق يقول سبحانه وتعالى «ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب » (٢) .

وهو إله يجهل ويخطىء ويندم على فعله بعد أن يفعله ، ويحزن لأنه خلق الإنسان ، ويخاف أن يصير الإنسان خالدا مثله .

والنظر فى النصوص التالية فى التوراة يؤدى إلى فهم أمور يبرأ المولى عز وجل عنها .

يقول التوراة « فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه »(٣) .
ويقول « ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم ، فحزن الرب أنه عمل

(١) سفر التكوين الاصحاح الثانى والخروج الإصحاح ٢٠
(٢) سورة ق الآية ٣٨
(٣) سفر الخروج الاصحاح ٣٢

الإنسان فى الأرض ، وتأسف فى قلبه ، فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته ، الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء ، لأنى حزنت أنى عملتهم » (١) .

ويقول أيضا « وقال الرب الاله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا بالخير والشر ، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد فاخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها » (٢) .

تنزه المولى عز وجل عما لا يليق بجلاله ، فهو سبحانه حى قيوم ، خالق الإنسان ، له كل شىء وبيده كل شىء ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وعلمه واسع يشمل كل ما فى الكون وما وراء الكون ، وبقدرته وحده يكون الوجود ويكون العدم ، وهو عز وجل وحده المتصف بالأزلية والابدية ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن إذا أراد شيئا يقول له كن فيكون ، يقول عز وجل « ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد » (٣) .

ويقول عز وجل « هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » (٤) .

---

(١) سفر التكوين الاصحاح السادس .
(٢) سفر التكوين الاصحاح الثالث .
(٣) سورة ق الآية ٢٩
(٤) سورة الحشر الآيات من ٢٢ إلى ٢٤

ويبين التوراة أن الإله يدعو بنى إسرائل لاستعباد الشعوب وتسخيرهم وسفك دمائهم(١) .

وإلههم ينزل من سماواته ليصارع بنى الله يعقوب (٢) :

إله هذه صورته وأوصافه جينا يتحق التصديق به ينتج عن هذا التصديق بشراً ملوثين فى تكوينهم النفسى والعقلى ، لا يسعدهم إلا الانقضاض على الآخرين وسفك دمائهم واستنزاف خيراتهم ونشر الفتن بينهم وتبديد طاقات البشرية فيما لا يفيد .

موقفهم من الأنبياء :

ولقد كان لفكرتهم التى كونوها وأذاعوها عن الرسل الأثر الكبير فى نظرتهم للحياة وتعاملهم الشاذ مع بنى البشر ، وحركتهم المشبوهة التى تهدف إلى تدمير كل جميل من القيم .

فإبراهيم عليه السلام من أجل أن ينجى نفسه [لما قرب أن يدخل مصر قال لسارة امرأته إنى قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلوني ويستبقونك ، قولى إنك أختى ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك] .

ويمضى النص التوراتى ليبين أنه نتيجة لكذب إبراهيم - كما يدعون - أخذ الفرعون سارة لتكون زوجة له ، على الرغم من أنه لم يقربها ، وعلم حقيقة الأمر(٣) .

---

(١) راجع سفر التثنية الإصحاح ٢٠
(٢) راجع سفر التكوين الإصحاح ٣٢
(٣) راجع سفر التكوين الإصحاح ١٢ والإصحاح ٢٠

إلا أن القصة من أولها لآخرها تسيء للشخص العادى . فكيف بأبى الأنبياء عليه السلام الذى يقول فى حقه الله سبحانه وتعالى «إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين»(١) فهو يقر بألوهيته سبحانه وبتفرده عز وجل بالعبادة والخشوع والطاعة والانقياد والتسليم المطلق، ومن كان أمره كذلك لا يخاف إلا الله ، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن البشر كلهم لا يقدرون على إلحاق أى ضرر أو تحقيق أى نفع للإنسان إلا بإرادة الله عز وجل .

ويوضح التوراة فى موقف مفتعل أن نوحا تعرى نتيجة لشربه الخمر وحينما رأى حام عورة أبيه وأبلغ أخويه ، قام الأخيران : سام ويافث يستر عورة أبيهما ، وحينما علم الأب بذلك بعد أن أفاق من خمره لعن كنعان الذى هو ابن لحام .

وبارك ابنيه الأخيرين يقول التوراة «فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير ، فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته وقال مبارك الرب إله سام ، وليكن كنعان عبداً لهم»(٢) .

وواضح التحامل المريب والخطير على كنعان الذى هو جد للعرب .

ونبى الله لوط عليه السلام تتآمر عليه ابنتاه ، وتسقياه الخمر ، وتمارسا معه الجنس بالتتابع — وهو سكران — طمعاً فى نسل من أبيهما(٣) .

ويعقوب يتآمر على أخيه عيسو ، ويحتال على أبيه إسحاق ويلجأ للمكر والخديعة من أجل أن يباركه الأب إسحاق فيصير نبياً .

---

(١) سورة النحل الآية ١٢٠ .
(٢) راجع سفر التكوين الإصحاح ٩ .
(٣) راجع سفر التكوين الإصحاح ١٩ .

ويقع الأب فريسة لحيلة يعقوب ، وبذا يصير الأخير نبياً بعد أن باركه إسحاق الأب .

ويعلم الأب فيما بعد بأن ابنه يعقوب خدعه ، واغتصب النبوة التي هي الأصل لعيسو ، ومع علمه بذلك لا ينزعج وإنما يستسلم للمؤامرة (١).

ومعلوم في منطق الإسلام أن النبوة بالاصطفاء والاجتباء وهي حق لله ، لا يعطيها لأي بشر ليعبث بهـــا ، وأن أعطاها لأحد عصمه من الوقوع في أي منهي عنه ، وحفظ ظاهره وباطنه من ترك أي مأمور به . فكيف إذا يقع إسحق فيما وقع فيه ؟!! وكيف يحتال يعقوب ومعروف أنه نبي ورسول باصطفاء الله له وليس بالكذب والتطاول على حق الغير ؟!! إن ما نسب إلى إسحاق ويعقوب هو كذب مفتعل قام به اليهود ضمن سلسلة تآمرهم على الأنبياء ، وتلويثهم لسيرة الركب الطاهر .

وداود عليه السلام حينما صعـــد على سطح منزله ؛ رأى امرأة تستحم في بيت مجاور ، فحلت في عينه ، وسأل عمن تكون هذه المرأة ؟ فأخبروه أنها امرأة أوريا القائد في الجيش ، فأمر بإحضارها ، وزنى بها ، ثم تآمر على زوجها حيث دفع به إلى مقدمة الصفوف في الحرب حتى يقتل وبهذا تخلص منه (٢) .

(جـ) فكرتهم عن أنفسهم :

ويعتبر الشعب اليهودي نفسه شعب الله المختار ، ولهم اعتبارهم عند الله أكثر من الملائكة ، وأرواحهم جزء من الله ، وهم وحدهم المستحقون للحياة وللسيادة على هذه الأرض ، وما عداهم من الشعوب كفار يستحقون اللعنة الأبدية .

---

(١) راجع سفر التكوين الإصحاح ٢٧

(٢) راجع صموئيل الثاني الإصحاح ١١

يقول التلمود «اليهودي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، واليهودي جزء من الله» ويقول «الشعب المختار هم اليهود، أما باقي الشعوب فهم حيوانات، لا يجوز لليهودي أن يشفق على غير اليهودي لأنهم أعداء، كما أن لليهودي أن يغش غير اليهودي»(١).

(د) نظرتهم لما عداهم من الشعوب:

وينظر الشعب اليهودي إلى بقية الشعوب من عل؛ نظرة ازدراء، واحتقار، وكأنهم هم كل شيء، أما غيرهم فكم مهمل لا يعبأ به، لا قيمة لهم ولا تقل حتى في دنيا الأشياء «كأن هذه الأمم — أي ما عدا اليهود — أشياء جامدة لا حس لها ولا إرادة ولا فهم، فليس لها أدنى حظ من كرامة ولا حق»(٢).

والتلمود يؤكد هذا الكلام، بل إنه يرسم صورة كئيبة لما عدا اليهود من الشعوب اذ يعتبر الامميين كلاب وخنازير وحمير زكوب الخارج عن دين اليهود حيوان فسمه كلباً وحماراً أو خنزيرا (٣).

واليهود يعتبرون أنفسهم من جنس سام، وأصحاب عبقريات خلاقة ويملكون القدرة على التحليل، بينما غيرهم جاهلون لا يفهمون شيئاً(٤). ويرون أن لليهودي أن يطعم الكلاب وليس له أن يطعم غير اليهودي، كما أن له أن يقرض الأجنبي بالربا، وإذا وجد مالا لأجنبي — أي غير يهودي فليس له أن يرده لأنه مال أعداء الله، ويحرم على اليهودي أن

---

(١) اليهودية ص ٢٧٦ د/ أحمد شلبي — نقلا عن الكنز المرصود ص ٥١ — ٥٥

(٢) من مقدمة محمد خليفة التونسي للبروتوكولات ص ١٢١

(٣) الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٦٠

(٤) راجع البروتوكول ١٥ ص ٢٣٥

ينجى أحدا من الأميين من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها ، بل إذا رأى أحـــد اليهود أمياً يقع فى حفرة فأنه يلزمه أن يسدها وراءه بحجر(١) .

لقد شكلت العوامل السابقة النفسية اليهودية ، فهم لا يصدقون إلا بإله مجسم ، ولذا قالوا لموسى عليه السلام « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة»(٢) وقالوا له فى تبجح «أرنا الله جهرة »(٣) .

وادعوا ظلماً وعدواناً أنهم أبناء الله وأحباؤه .

وإلههم عنصرى يؤثرهم على غيرهم من الأمم ، ويدفعهم إلى الكذب والغش والخديعه والنفاق والتعامل الربوى وسرقة الأموال من [الجوييم] وسفك دمهم .

ولم ينجح الأنبياء من عدوانهم حيث جردوهم من العصمة، واتهموهم بأبشع وأقسى التهم .

وعن الشعوب الأخرى فقد تعامل اليهود معهم على أنهم شعب الله الله المختار المميزون بالتكوين الجسمانى القوى والعقلية الخلاقة ، أما الشعوب الأخرى فهم حمير وخدم .

وبهذه النفسية الحاقدة الكارهة لكل جميل من القيم عاش اليهود ماضيهم ، ويعيشون حاضرهم ومستقبلهم ، لا هم لهم إلا التآمر على الغير، والتشكيك فى الأديان والأنبياء ، وتشويه القيم ، واصطناع الأفكار الهدامة : وتبنيها فى كل المحافل الدولية ، والدفع بها مع التزيين لها فى كل

---

(١) الكنز المرصود ص ٥١ : ٦٦
(٢) سورة البقرة الآية ٥٥ (٣) سورة النساء الآية ١٥٣

الأجهزة الاعلامية من صحافة وإذاعة وتليفزيون وسينما ونشرات دولية وبحوث علمية وأشرطة فيديو .

بل أكثر من ذلك الصعود بها إلى أعلى الدراسات الأكاديمية وتسخير كل الإمكانات المادية والمعنوية لنشرها .

(هـ) وقفة مع بروتوكولات حكماء صهيون .

ولنا وقفة قصيرة مع البروتوكولات ، نوجز من خلالها الأفكار الواردة فيها ، دون أن نكثر من التعليق عليهـــا لوضوحها وجل همنا ما يلى :

١ — اطلاع الاجيال على النظرة اليهودية الرديئة القاتمة ، وما تبيته الصهيونية العالمية لبقية الشعوب من أجل الاستبقاء على السيطرة اليهودية .

٢ — تنبيه جيلنا والأجيال من بعدنا لما يحيكه أبناء صهيون من مؤمرات ضد البشرية عموما ، وضد المسلمين على وجه الخصوص من أجل القضاء على الجميع واستغلال الاشلاء الباقية .

٣ — نداء موجه إلى المسلمين جميعا ياقومنا افيقوا ودعوا التشرذم والتخلف جانبا ، وعودوا إلى النبعين الطاهرين القرآن الكريم والسنة المطهرة ، عودوا إليهما فهما وتطبيقا ، فبالفهم الواعى والتطبيق الأمين يأتى الانتصار الحق ، وترفع راية لا إله إلا الله عالية خفاقة وتنتصرون على كل مخططات أبناء صهيون .

وبدءا فإنى أنبه إلى أن لفظه (الجوييم) ، ولفظة (الأمميين) التى تتردد كثيرا فى البروتوكولات ، يعنون بها ماعدا اليهود من الأمم ، وهؤلاء الجوييم فى رأى اليهود بهائم وانجاس وكفرة وأصحاب عقول لاتعى ولا

يستحقون الحياة بل القتل [أقتل الصالح من غير الإسرائيليين ، ويحرم على اليهودى أن ينجى أحدا من باقى الأمم من هلاك ، أو يخرجهم من حفرة يقع فيها ، لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين](١).

يبدأ البروتوكول الأول ببيان أن [خير النتائج فى حكم العالم ما ينتزع بالعنف والإرهاب لا بالمناقشات الأكاديمية](٢).

وهذا يعنى أن النفسية الصهيونية تنحو فى كل تعاملاتها منحى التخويف واستخدام القسوة والتسلط.

وفى نفس البروتوكول نرى أن السياسة فى رأى الصهيونية ميكافيلية أى مجردة عن الأخلاق الطيبة وتعتمد فى سيرها على مقولة الغاية تبرر الوسيلة ، وعلى هذا فالسياسى البارع يجب أن يكون لا أخلاقيا .

وهذا ما نراه بوضوح فى كل تعاملاتهم مع العالم ، وفى تعاملاتهم الأخيرة معنا فى (كامب ديفيد) قبل تحقيق معاهدة السلام ، فقد حاولوا استخدام كل الأساليب من الغش والكذب والتشويش والتلفيق والمناورات الإعلامية ، إلا أن المحاور المصرى كان أذكى من كل ما يريدون ،

ونفس الأساليب الغير أخلاقية انتهجوها معنا فى المناقشات حول (طابا) .

ولا أريد أن نستطرد حتى لا ننجرف نحو السياسة ، وإنما فقط نؤكد ما يتجهون إليه بذكر هذا النص [أن السياسة لا تتفق مع الأخلاق فى شيء ، والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسى بارع ... لا بد لطالب الحكم من الالتجاء إلى المكر والرياء](٣).

---

(١) الكنز المرصود ص ٨٤ — ٨٥
(٢) البروتوكولات ص ١٤٦
(٣) البروتوكول الأول ص ١٥٠

ويقولون فى نفس البروتوكول « أن الغاية تبرر الوسيلة ، وعلينا ونحن نضع خططنا ألا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقى بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضرورى ومفيد » (١) .

ويقولون « يجب أن يكون العنف هو الأساس ... ويتحتم ألا نتردد لحظة واحدة فى أعمال الرشوة والخديعة والخيانة إذا كانت تخدمنا فى تحقيق غايتنا » (٢) .

وهكذا يستمر البرتوكول الأول ليوضح اتجاه اليهودية ودورها فى بث الأفكار المنحرفة ومحاولة استغلال الشعوب وتغيير أفكارهم .

ويوضح البروتوكول الثانى أن اليهود هم الذين صنعوا تشارلس داروين ونظريته فى النشوء والارتقاء ، ودفعوا به إلى الساحة الفكرية ، ودافعوا عن أفكاره حتى يشككوا الناس فى ما تقوله الكتب السماوية عن أصل آدم ، وعن الغاية من وجود الإنسان .

إن فكرة خلق آدم وحواء ثم أكلهما من شجرة معينة وخروجهما من الجنة لمخالفتهما لأمر الله كما يقول بذلك الإسلام .

ووراثة الأبناء لخطيئة الأبوين والتى استمرت حتى بعث الله ابنه الوحيد عيسى عليه السلام ليقتل على الصليب تكفيرا عن خطيئة آدم ، وتخليصا للبشرية من الخطيئة كما تقول بذلك المسيحية البولسية .

أن هذه الفكرة بشقيها الصحيح والخطأ فكرة محجوجة أمام نظرية داروين التى تشكك فى أصل الإنسان وتدعى أنه حيوان مائى نشأ بفعل

---

(١) البروتوكول الأول ص ١٥٢ .

(٢) البروتوكول الأول ص ١٥٥

التطور من الأدنى للأعلى ، إذا فلا أدم ولا حواء ولا خطيئة وبالتالى لا عيسى ولا تكفير يقول ويلز « واذا لم يكن ثمة خطيئة فأن الصرح التاريخى للمسيحية ، وقصة الخطيئة الأولى والكفارة التى أسس عليها التعليم السارى للعواطف المسيحية ، فأن كل ذلك ينهار كبيت من ورق اللعب » (١) .

واليهود هم الذين دفعوا بكارل ماركس إلى الساحة ليقول أن المادة أزلية أبدية وان الإنسان والفكر نتاج المادة وأنه لا وجود للخالق وان الدين خرافه بل هو مخدر للشعوب وأن الملكية الخاصة تؤدى إلى تفتيت وحدة المجتمع وانها السبب المباشر لكل المفاسد .

كما دفعوا بفردريك نيتشه ليقول فى سخرية إن الله قد مات وان السوبر مان أى الإنسان الأعلى ينبغى أن يحل محله .

ودفعوا أيضا بسيجموند فرويد ليرجع كل الميول والآداب الدينية والخلقية والأسرية إلى الغريزة الجنسية كى يبطل قداستها ويسلب الإنسان إيمانه بسموها ما دامت راجعه إلى أدنى ما يرى فى نفسه (٢) .

تقول البروتوكولات « لاحظوا هنا أن نجاح دارون وماركس ونيتشه ، قد رتبناه من قبل ، والأثر غير الأخلاق لاتجاهات هذه العلوم فى الفكر الأممى — أى غير اليهودى — سيكون واضحا لنا على التأكيد » (٣).

ويقول البروتوكول الرابع « يجب علينا أن ننزع فكرة الله ذاتها

(١) معالم تاريخ الإنسانية جـ ٤ ص ١١١٣

(٢) راجع مقدمة محمد خليفه التونسى للبروتوكولات ص ١٠٣

(٣) البروتوكول الثانى ص ١٦٢

من عقول غير اليهود وأن تضع مكانها عمليات حسابية وضرورات مادية ».

هكذا حركة يهودية خبيثه تستهدف العقائد الصحيحة وتعمل بكل الوسائل من أجل طمس معالم الدين الحق ، وابعاد الشعوب عن الإيمان بوجود الله ووحدانيته ، والقذف بها بلاهوادة فى تيه الإلحاد ،وإشغالها بالمادة وتوافه الأمور ، وتفريغ باطنها من أى محتوى جاد ، ودفعها للتشرذم والضياع .

واليهود وهم يشككون فى الدين يحطون من رجاله ، ويظهرونهم بمظهر غير لائق أمام الشعوب ، وبذلك يفقدوهم التأثير الروحى .

يقول البروتوكول السابع عشر « وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين من الأمميين فى أعين الناس ، وبذلك نجحنا بالاضرار فى رسالتهم ... وأن نفوذ رجال الدين ليتضاءل يوما فيوما ... وسيكون تأثيرهم وبيلا على الناس حتى إن تعاليمهم سيكون لها أثر مناقض للأثر الذى جرت العادة بأن يكون لها »(١) .

أن الرؤية المتأنية العاقلة للواقع تؤكد أن وراء نشأة التيارات الفكرية الإلحادية يدا يهودية ، وان وراء التشويش المستمر على علماء الدين فى الأمة الإسلامية وتوسيع جبهات الخلاف بين علماء الأمة يدا يهودية ، وإن وراء انصراف الناس عن علمائهم الدينيين وتوجيه اللوم لهم واتهامهم بالقصور والسطحية يدا يهوديه .

يقول العقاد « ولن تفهم المدارس الحديثه فى أوروبا ما لم تفهم

(١) راجع البروتوكولات ص ٢٤٩

هذه الحقيقة التى لا شك فيها ، وهى أن أصبعا من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية ، وترمى إلى هدم القواعد التى يقوم عليها مجتمع الإنسان فى جميع الازمان » (١) .

وتعترف البروتوكولات بما قام به اليهود عبر القرون المتطاولة من وضع بذور الحقد والكراهية والتعصبات الدينية والقبلية بين الشعوب غير اليهودية ، بهدف إضعافها ، واستفراغ كل طاقاتها فيما لا يفيد إلا الصهيونية العالمية يقول البروتوكول الخامس « لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره فى جميع أغراض الأمميين الشخصية والقومية ، بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرنا » (٢).

وتقوم الصهيونيه العاليه — من أجل السيطرة على الشعوب ودفعها إلى الحيرة والقلق وتفتيت وحدتها الفكرية والعاطفية — بدفع مجموعة كبيرة من الآراء المتضاربة فى الساحة ، والعمل على إيجاد صراع حول هذه الآراء ، وتبنى كل مجموعة من الناس لرأى دون آخر ، والتعصب له .

وهذا التعصب بدوره يجسم من أخطاء الغير ، ويعمق الخصومات فى المجتمع ، ويجعل رؤية الأهداف غير واضحة ، ويقلل من عودة التماسك مرة ثانية ، وينمى روح العداء بين الأفراد والمجتمعات ، ويدفع الجميع إلى الإستسلام .

يقول البرتوكول الخامس [ولضمان الرأى العام ، يجب أولا أن نحيره كل الحيرة بتغيرات من جميع النواحى لكل أساليب الآراء المتناقضة حتى يضيع الأمميون فى متاهاتهم ... ويجب ثانياً أن تتضاعف وتتضخم

---

(١) من مقال للعقاد بجريدة الأساس فى ١٩٥٠/٤/٢١

(٢) راجع البروتوكولات ص ١٧٦

الأخطاء والعادات والعواطف والقوانين العرفية فى البلاد حتى لا يستطيع إنسان أن يفكر بوضوح فى ظلامها المطبق، وعندئذ يتعطل فهم الناس بعضهم بعضاً](١).

والأسرة هى اللبنة الأولى فى المجتمع، وتماسكها لا يكون إلا بالتعاون والحب، وترك الأثرة والتمسك بإيثار الغير على النفس، ورحمة الكبير للصغير واحترام الصغير للكبير.

والصهيونية لا تريد أن تكون المجتمعات غير اليهودية قوية، ولذا تعمل على إشعار كل فرد بأهميته الذاتية، وتنمية إحساسه بفرديته، حتى يتمسك كل فرد برأيه، ولا يستجيب للآخرين، أو بتعبير آخر يكون أنانياً فى كل تصرفاته، وهذه الأنانية بدورها تؤدى إلى تدمير الأسرة بعدم الانصياع لرأى الكبير أو النابه فيها مما يؤدى إلى إضعاف المجتمع. يقول البروتوكول العاشر [إذا أوحينا إلى كل فرد فكرة أهميته الذاتية، فسوف ندمر الحيـــاة الأسرية بين الأمميين، ونفسد أهميتها التربوية، وسنعوق الرجال ذوى العقول الحصيفة عن الوصول إلى الصدارة](٢).

ويصرح البروتوكول الرابع عشر بأن اليهود لن يسمحوا بدين آخر غير اليهودية حينما تتم لهم السيطرة على مقدرات الشعوب.

حيث يقول [حينما نمكن لأنفسنا فسنكون سادة الأرض، لن نبيح قيام أى دين غير ديننا ... ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان، وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هى إثمار ملحدين](٣).

---

(١) راجع البروتوكولات ص ١٨٠
(٢) » » ص ١٩٨
(٣) » » ص ٢٢٤

ويوضح البروتوكول الخامس عشر أن اليهود هم الذين أنشأوا الماسونية ، وهم الذين يعملون على نشر خلاياها في كل مكان . ويضمون إليها الشخصيات العامة ذات الثقل المادي والمعنوي ، والتي تخدم بإرادتها أو بغير إرادتها اليهودية العالمية [سنحاول أن ننشيء ونضاعف خلايا الماسونيين الأحرار في جميع أنحاء العالم ، وسنجذب إليها كل من يصير أو يكون معروفاً بأنه ذو روح عامة ، وهذه الخلايا ستكون الأماكن الرئيسية التي سنحصل منها على ما نريد من أخبار ، كما أنها ستكون أفضل مراكز للدعاية](١) .

ويحدد البروتوكول الحادي عشر هوية اليهود بأنهم ذئاب، أما الشعوب الأخرى فهم الأغنام ، ومعروف أن الذئاب لا يرضيها ويحد من توحشها إلا التهام الأغنام [غير اليهود كقطيع من الأغنام أما نحن فإننا الذئاب ، وهل تعلمون ما تفعل الأغنام إذا اقتحمت الذئاب حظيرتها؟ إنها تغمض عينيها ، وسندفعهم إلى ذلك](٢) .

إن الصهيونية العالمية تعمل جاهدة على السيطرة على العالم ، وتسخير كل القوى العالمية لخدمتها ، ونشر الديانة اليهودية ، أو على الأقل دفع الأمميين إلى التمرد على المسيحية والإسلام ، كما تعمل على تحويل مسار الفكر الى الجهة التي تريدها هي ولا نحتاج لتأكيد هذه القضية إلا لنظرة متأملة فيما حولنا وسنجد في البدء المعسكر الغربي والمعسكر الشرقي .

يتبع الأول المذهب الديمقراطي الذي — رغم بريقه يمسخ إنسانية الإنسان ويدفعه ليدمر القيم ويزدري الدين باسم الحرية الشخصية ، ويستبدل بالمعبود الحقيقي معبوداً آخر اسمه الهوى والغرائز والمال والطبيعة .

---

(١) راجع البروتوكولات ص ٢٣٠

(٢) « « ص ٢٠٩

أما المعسكر الثانى فيتبع المذهب الاشتراكى الذى يحطم الفرد باسم الجماعة ويحطم الجماعة باسم الدولة ، ومع التحطيم والإذلال يأتى المسخ لكل فكرة دينية صحيحة .

ويقع تحت اللواء الغربى الكثير من الشعوب ، كما يقع تحت اللواء الشرقى الكثير أيضاً .

ويتربص المعسكران كلاهما للآخر : ومن وراءهما قوى الصهيونية ، تدفع بالصراع إلى أشده . وتوسع دائرة الخلاف ، وتحصد نتاج عملها أولا بأول .

وفى نفس الوقت تحرص الصهيونية على نقل عوامل الصراع إلى العالم الإسلامى وبذا تتمكن من تفتيت وحدته وإبعاده عن قيمه وزرع القلاقل فى الكثير من أرجائه .

وقضايا أريتريا وأفغانستان ولبنان وفلسطين والعراق وإيران وغيرها ليست عنا ببعيد .

عقد فى بودابست سنة ١٩٥٢ مؤتمر لحاخامى أوربا وفيه ألقى الحاخام إيمانويل — رابينوفتيش خطاباً قال فيه . . . صار لزاما علينا أن نستغل جميع الوسائل التى فى حوذتنا لإشعال حرب عالمية ثالثة . . . وأستطيع أن أعدكم أنه لن تمر عشر سنوات حتى يأخذ شعبنا مكانه الحقيقى فى العالم ويصبح كل يهودى ملكا وكل جوييم — أى جميع الأمم غير اليهودية — عبداً ... نحن نثير الآن حمى الحرب عند الشعب الروسى بخلق ميل معاد لأمريكا التى يجتاحها فى الوقت نفسه شعور معاد للشيوعية ، هذه الحملة ستجبر الدول الصغيرة على الاختيار بين أن تصبح شريكة لروسيا أو متحالفة مع الولايات المتحدة ، حتى إذا تم تدمير وإهلاك الطرفين المتحاربين سنقوم نحن بعملية التحكم والرقابة على بقيا ، اشلاء جميع الدول وستكون هذه الحرب معركتنا الأخيرة فى صراعنا التاريخى ضد الجوييم .

وقد سأل أحد الحاخامات ، الحاخام المذكور عن مصير الأديان بعد الحرب العالمية الثالثة ، فقال : لن تكون هناك أديان كما لن يكون هناك رجال دين فأن وجود الأديان ورجال الدين خطر علينا(١) .

ومن نعمة الله أن ما قاله الحاخام لم يتحقق حسب تحديده الزمنى ، وأعتقد أنه لن يتحقق إذا أفاق العالم من غفوته وعاد المسلمون عودة حميدة إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة .

---

(١) أحجار على رقعة الشطرنج ص ٢٢٤ ، ٢٢٨ وليام كار .

(و) مواقف لليهود ضد الإسلام

ولليهود مواقفهم الغريبة من الإسلام منذ نشأته ، نذكر البعض القليل منها لنتذكر دورهم فى التشكيك ومحاولة غزو العقلية الإسلامية والسيطرة عليها .

١ — فمع بدء بعثة النبي — ﷺ أنكروا نبوته ، وراحوا فى تعنت وكراهية يطالبونه عليه الصلاة والسلام بأن يأتى لهم بقربان تأكله النار ، وتجاهلوا بهذا الطلب كل معجزاته الحسية والعقلية وبخاصة المعجزة القرآنية الخالدة .

وقد حكى القرآن الكريم مقالتهم هذه ، وبين أنهم معاندون كذابون ، فقد جاءهم أنبياء لهم بما طلبوا ، ومع ذلك تآمروا على قتلهم ، وأتى أنبياء كثيرون دون أن يأتوا بقربان .

فلماذا يتعنتون مع رسول الله ﷺ يقول سبحانه وتعالى : « الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين »(١) .

يقول ابن كثير فى تفسيره للآية الكريمة [يقول تعالى تكذيباً لهؤلاء الذين زعموا أن الله عهد إليهم فى كتبهم أن لا يؤمنوا لرسول حتى يكون من معجزاته أن من تصدق بصدقة من أمته فتقبلت منه أن تنزل نار من السماء تأكلها . قال ابن عباس والحسن وغيرهما قال الله عز وجل : « قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات » أى بالحجج والبراهين « وبالذى قلتم »

(١) سورة آل عمران الآية ١٨٣

أى وبنار تأكل القرابين المتقبلة «فلم قتلتموهم» أى فلم قابلتموهم بالتكذيب والمخالفة والمعاندة وقتلتموهم «إن كنتم صادقين» أنكم تتقاضون للحق وتتبعون للرسل »(١).

٢ — وقد طلبوا ظلما وعدوانا من النبى ﷺ أن يطلب من ربه أن يكلم اليهود ويعلمهم أن محمدا رسول من عنده أو يريهم آية فورية تؤكد صدق رسالته عليه السلام وهذا الأمر ليس بجديد على الجبلة اليهودية «فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة» «وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة».

وقد قضت حكمة الله سبحانه وتعالى أزلا ألا يراه أحد أو يسمعه أحد من البشر فى الدنيا ألا من ارتضى من رسول.

والإيمان بالغيب هو الذى يصحح التكليف ويجعل الإنسان حرا فى التصديق أو التكذيب، وبهذه الحرية تصح مسئولية الإنسان ويكون الثواب أو العقاب فى محله.

أما إذا ظهر الله سبحانه وتعالى وكلم القوم وسمعوه بآذانهم، فلن يكون هناك أى معنى للإيمان، لأن حرية الإنسان ستكون منتفية ولن يكون أمامه إلا الجبر، ومع الجبر تنتفى المسئولية، وينتفى الثواب والعقاب.

والشرك فى كل عصر واحد، وإن تغير الثوب الذى يلبسه، ولهذا رأينا مشركى قريش يطالبون الرسول ﷺ لكى يؤمنوا برسالته بمطالب قريبة من مطالب اليهود يقول القرآن الكريم حاكيا مقولة

---

(٢) تفسير القرآن العظيم م ١ ص ٤٣٤ لابن كثير وراجع فى تفسير الآية مفاتيح الغيب للأمام فخر الدين الرازى.

المشركين [وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا .

وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله الله بشرا رسولا . قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا] (١) .

لقد طلب رافع بن حريملة اليهودى من الرسول ﷺ طلبا بالنيابة عن اليهود قائلا له يا محمد [إن كنت رسولا من الله كما تقول ، فقل لله يكلمنا حتى نسمع كلامه] .

وهنا نزلت الآية الكريمة [وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون] (٢) .

والذين لا يعلمون يقول ابن عباس هم اليهود ، ولو لا يكلمنا الله أو تأتينا آية ، أى هلا يكلمنا الله بنبوة محمد ﷺ ، فنعلم أنه نبى فنؤمن به أو يأتينا بآية تكون علامة على نبوته .

ولقد تشابهت أقوال المشركين واليهود والنصارى فى تعنتهم وجحودهم وإنكارهم واتفاقهم على الكفر (٣) .

---

(١) سورة الاسراء الآيات من ٩٠ إلى ٩٥

(٢) سورة البقرة الآية ١١٨

(٣) الجامع لإحكام القرآن م ٢ ص ٩٢ للإمام القرطبى .

٣ — ومن المعروف أن اليهود كانوا ينتظرون نبيا سوف يأتى، وكانوا يرددون ذلك فيما بينهم، ويشيعونه بين الناس.

وحينما أتى النبى ﷺ برسالته أنكروه بدل أن يؤمنـــوا به لأنه مصدق لما يقولونه، وقالوا ليس هذا هو النبى المنتظر، والسبب المباشر لانكارهم هو العناد والكبر والحقد والتسلط، لأنه لم يبعث منهم وأنما من نسل اسماعيل عليه السلام يقول القرآن الكريم [ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين] (١).

يقول المفسرون ولما جاءهم أى اليهود كتاب من عند الله أى القرآن الكريم الذى أنزل على محمد ﷺ مصدق لما معهم أى لبعض ما فى التوراة وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا أى يستنصرون بمجيئه على أعدائهم ويقولون أنه سيبعث نبى فى آخر الزمان نقاتلكم معه.

ويقول محمد بن اسحاق .. عن ابن عباس أن يهودا كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول يأتى، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانو يقولونه (٢).

٤ — ولقد حاول اليهود تحكمهم طبيعتهم الحاقدة أن يشككوا فى القرآن الكريم قائلين إنه ليس من عند الله، وأن الله تعالى لايكلم البشر تقول الآية الكريمة، حاكيـــة قولهم، ورادة على كذبهم وأفترائهم

---

(١) سورة البقرة الآية ٨٩
(٢) تفسير القرآن م ١ ص ١٢٤

[إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون] (١) .

أى قل لهم يا محمد هل تؤمنون بموسى عليه السلام أو . لا ؟ ثم قل لهم هل نزل عليه كتاب أو . لا ؟ ثم قل لهم من أنزل الكتاب الذى انزل على موسى والذى هو هدى ونور للناس جميعا ؟ .

والذى تبدون بعضه وتخفون البعض الآخر .

قل لهم يا محمد الله سبحانه هو الذى أنزل الكتاب على موسى ، وهو سبحانه وتعالى الذى أنزل القرآن عليك ، ثم أتركهم فى غيهم وضلالهم يتخبطون .

يقول القرطبى فى تفسيره للآية الكريمة [قال الحسن وسعيد بن جبير الذى قاله أحد اليهود . قال لم ينزل الله كتابا من السماء .

قال السدى أسمه فنحاص وعن سعيد بن جبير أيضا قال هو مالك بن الصيف](٢) .

٥ — وأستمرارا فى محاولة تشكيك المسلمين فى دينهم ، والتسلل لأضعاف العقيدة فى قلوبهم ، أتهز اليهود فرصة تحول المسلمين بأمر ربهم فى صلاتهم إلى الكعبة المشرفة ، وأخذوا يثيرون الشبهات .

---

(١) سورة الأنعام الآية ٩١

(٢) الجامع لأحكام القرآن م ٦ ص ٣٧

فلقد كان المسلمون يتوجهون فى صلاتهم إلى بيت المقدس ، وظلوا على هذا طيلة الفترة المكية «وعلى مدى يقترب من السبعة عشر شهرا بعد الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة» ثم أمروا بالتوجه فى الصلاة إلى بيت الله الحرام [فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره] (١) .

وكان التوجه الأول إلى بيت المقدس يرضى اليهود ، ويدفعهم للإعتقاد أن محمدا وأصحابه فى النهاية ـ طالما أنهم يصلون إلى بيت المقدس ـ سيدينون أيضا باليهودية .

يقول ابن عباس ومجاهد ، رضى الله عنهما ، إن اليهود [كانوا يأنسون بموافقة الرسول لهم فى القبلة ربما تدعوه إلى أن يصير موافقا لهم بالكلية] .

ويروى البخارى عن البراء رضى الله عنه قال [لما قدم رسول الله ﷺ المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يتوجه نحو الكعبة فانزل الله تعالى « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ... » .

فقال السفهاء وهم اليهود « ما ولاهم عن قبلتهم ... »] (٢) .

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٤٤

(٢) روح المعانى — فى تفسير القرآن العظيم م١ ج٢ ص ٢ للآلوسى .

ونعلم أن الله سبحانه وتعالى مالك الملك وخالق الجهات كلها ، وهو عز وجل يتصرف فى ملكه وفق مشيئته ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

ولقد استجاب سبحانه وتعالى لتوجهات حبيبه محمد ﷺ ، حيث وجهه إلى القبلة التى يرضاها ، والتى هى جزء من كيانه ، منذ ولد والشوق والحنين تجاهها لا يزول .

وقد كان وقع تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام خطيرا على نفوس اليهود ، حيث رأوا فيه اهتزازا لكيانهم ، وانتشارا للإسلام الذى لا يرتضونه .

ولهذا راحوا يثيرون الشبهات .

قالوا فى سخرية ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ؟.

وإذا كانت القبلة هى قبلة الأنبياء ومحمد يدعى أنه نبى فلماذا تحول عن قبلتهم ؟

ثم إنه لو كان نبيا حقا لبقى على صلاته تجاه قبلة الأنبياء .

وإذا كانت الجهات كلها لله فإن التحول من جهة إلى أخرى بدون فائدة عبث ، والعبث على الله محال ، وإذا فالتحول محال .

ثم ما هو موقف الذين آمنوا بمحمد وصلوا فى إتجاه بيت المقدس وماتوا قبل تحول القبلة هل هم على حق أو على باطل ؟

روى عن حيى بن أخطب وجماعة من اليهود أنهم قالوا للمسلمين

أخبرونا عن صلاتكم إلى بيت المقدس إن كانت على هدى فقد تحولتم عنه .

وإن كانت على ضلالة فقد عبدتم الله بها مدة ، ومن مات عليها فقد مات على ضلالة . فقال المسلمون إنما الهدى فيما أمر الله تعالى والضلالة فيما نهى الله عنه فقالوا : فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا — وكان قد مات من المسلمين جماعة قبل تحويل القبلة — فانطلق عشائرهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يارسول الله : كيف بأخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس ؟ فانزل الله تعالى « وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم » .

والمعنى : وما كان الله تعالى ليذهب ثواب صلاتكم وأعمالكم الصالحة التى قمتم بها خلال توجهكم إلى بيت المقدس لأنه سبحانه بعباده رءوف رحيم لا يضيع أجر من أحسن عملا (١) .

إن الأمكنة كلها لله وهو سبحانه المتصرف فيها ، فاذا أمر بالتوجه إلى مكان دون مكان فلحكمة يعلمها هو ، وعلى المسلم أن يمتثل لأمره عز وجل :

أن المسلمين فهموا أن الأمر بالتحول إلى الكعبة لأنها قبلة ابراهيم عليه السلام وقيل لأنها كانت أدعى للعرب إلى الإسلام - وقيل مخالفة لليهود .

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم م ١ ص ٣٨٣ د/ محمد سيد طنطاوى .

(وروى عن أبي العالية الرياحي أنه قال كانت مسجد صالح عليه السلام وقبلته الكعبة ، قال وكان موسى عليه السلام يصلى إلى الصخرة نحو الكعبة وهى قبلة الأنبياء كلهم(١)

لقد تقبل المسلمون الأمر الإلهى بالتحول من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام بالسمع والطاعة :

وفهموا أن المراد بالتوجه إلى بيت المقدس ثم التحول منه إلى الكعبة المشرفة هو لتمييز المؤمنين الصادقين عن الذين أسلموا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ، وبهذا التمييز يعلم المؤمن من معه من المؤمنين فيواليه ، ومن عليه فيعاديه ويحذره يقول تعالى [وماجعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله) .

وعلموا أن بيت المقدس أو البيت الحرام ليس أحدهما مقصود الذاته وإنما المقصود الحقيقى هو الله سبحانه وتعالى . يقول عز وجل [ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون](٢)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن م ٢ ص ١٥٠ ، ١٥١

(٢) سورة البقرة الآية ١٧٧

وله سبحانه مشارق الأرض ومغاربها يأمر بالتوجه إلى أى جهة شاء [قل لله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله]

ولقد كان معلوما عند العرب ومايزال معلوما أن الكعبة شرفها الله بأضافتها إليه تعالى ، فهى بيت الله الحرام . ومن المعلوم أيضا أنها أول بيت وضع للناس للعبادة يقول تعالى [إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين](١) ومن المعلوم أن الذى بناها هو سيدنا ابراهيم وساعده فى بنائها سيدنا اسماعيل عليهما السلام ، ومحبة الكعبة هى محبة لكليهما ، ومن نسل اسماعيل جاء محمد ﷺ كما جاء العرب فاتباع الكعبة التى بناها إبراهيم واسماعيل أقرب للعرب بالذات من غيرها ، وبشير بظهور دولتهم ودينهم الذى هو الإسلام على الجميع :

ولقد كانت الكعبة قبل الدعوة الإسلامية وفى بدءها مشغولة بالأصنام والأوثان ، ولذا كان توجيه الله لنبيه عليه السلام وللمسلمين أولا بالتوجه إلى بيت المقدس إلى أن يتم تطهير بيت الله الحرام مما فيه حتى يكون التوجه حقيقة لله عز وجل .

وحينما تحول ﷺ وأمر المسلمين بالتحول إلى بيت الله الحرام ، لم يكن تحوله بأمر نفسه وإنما بأمر الله عز وجل [فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب لايعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون](٢)

وكما قلنا سابقاً إن القبلة ليست مقصودة لذاتها ، وإنما المقصود الحقيقى

---

(١) سورة آل عمران الآية ٩٦

(٢) سورة البقرة من الآية ١٤٤

هو الله عز وجل ، والله سبحانه وتعالى هو الذى يصطفى الأنبياء من بين خلقه ويميز شهراً عن آخر ويوما عن آخر ومكاناً عن آخر .

وهو وحده خالق الجهات كلها وفعله كله حسن بمعنى أنه لاتبعه عليه فيه ولا لائمة تلحقه لأنه يفعل فى ملكه (١)

والعبث فعل ماليس فيه فائدة ولا غرض ، وفعل مايلحق الضرر : والله سبحانه منزه عن احتياجه للفائدة أو الغرض وهو عز وجل لا يلحقه أى ضرر فهو خالق الكل ومالك الكل

والتحول من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام لغرض يرجع إلى المسلمين ولفائدة لهم . والمسلمون ليسوا مقصودين لذاتهم ، وإنما لأنهم أسلموا الوجه لله ، واتبعوا دين الله الحق الخاتم للأديان السماوية .

ولا عنصرية ولا تفريق بين الخلق وإنما ميزان واحد للعدل وهو الإيمان والتقوى .

٦ — ومن الحيل التى لجأ اليهود إليها لتشكيك ضعفاء المسلمين فى عقيدتهم الدخول فى الإسلام بأن ينطقوا بالشهادة بلسانهم ويتظاهروا أمام المسلمين بأنهم رضوا بالإسلام ديناً ، وحقيقة أمرهم أنهم يضمرون الكفر والحقد على الإسلام ويهدفون إلى إخراج المسلمين من إسلامهم أو على الأقل دفعهم إلى الشك فى الإسلام يقول سبحانه وتعالى [وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون](٢) .

---

(١) الاقتصاد فى الاعتقاد ص١٤١ لأبى حامد الغزالى

(٢) سورة آل عمران الآية ٧٢

يقول المفسرون إن سبب نزول الآية الكريمة أن اثنى عشر حبراً من أحبار يهود خيبر نصح بعضهم بعضاً أن يدخل فى دين محمد أول النهار باللسان دون اعتقاد القلب ، ثم فى آخر النهار يعلنون الكفر بالإسلام ، ويرددون بين المسلمين أنهم نظروا فى التوراة وشاوروا علماءهم وتأكدوا أن محمداً ليس هو الرسول المنتظر وأنه ليس برسول .

وبهذا التصرف الخبيث يوقعون الشك فى قلوب بعض ضعاف الإيمان من المسلمين(١) .

والآيات الكريمة قبل هذه الآية توضح غرض اليهود وتبين أنهم لن يضلوا إلا أنفسهم ، وأنهم حاقدون منكرون يلبسون الحق بالباطل يقول سبحانه [ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم ومايضلون إلا أنفسهم ومايشعرون ◦ ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون ◦ ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون](٢)

٧ — عمل اليهود على التشكيك فى دعوته ﷺ بقولهم : إن القول بجواز رسالة محمد ﷺ يؤدى إلى نسخ دين موسى عليه السلام ، ونسخ دين موسى محال لأمرين ،

الأول : النسخ إما أن يكون لا لغرض أو لغرض :

فإن كان لا لغرض فهو عبث ، والعبث محال على الله تعالى .

---

(١) راجع تفسير الفخر الرازى م ٤ جـ ٨ ص ١٠٣ وتفسير ابن كثير م ١ ص ٣٧٣

(٢) سورة آل عمران الآيات من ٦٩ إلى ٧١

وإن كان لغرض ، فان كان لغرض لم يعلمه الله ثم علمه فهذا جهل ، والجهل عليه سبحانه محال.

وإن كان يعلمه الله إلا أنه رأى إرجاءه ثم بدا له إظهاره فهذا تردد ، والتردد أساسه الجهل . ويستحيل أن يكون سبحانه وتعالى متصفا بهذه الصفة لأنها نقص والنقص عليه محال ،

الأمر الثانى : — الذى يؤكد استحالة نسخ دين موسى وبالتالى استحالة بعثة محمد عليه السلام ، أنهم يقولون : إن موسى عليه السلام صرح بدوام دينه وأبديته بقوله « تمسكوا بالسبت مادامت السموات والأرض » وبقوله « عليكم بدينى مادامت السموات والأرض » وبقوله « أنا خاتم الأنبياء » .

ويقولون : إذا كان موسى قد قال ذلك وصرح به فكيف يأتى محمد ويدعى أنه رسول جاء لكل البشر ؟ وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين إن قوله هذا ينسخ رسالة موسى ، ويكذبه فى نفس الوقت فيما قال والنسخ محال وتكذيب موسى محال لأنه نبى ومعصوم من الكذب :

وفى نفس هذا الإطار التشكيكى ، راحت جماعة من اليهود تسمى بالعيسوية تردد القول بإن محمداً رسول إلا أن رسالته خاصة بالعرب وحدهم

وهذا يعنى إنكارهم لعموم رسالته عليه الصلاة والسلام .

ولنا وقفة :

نقول من خلالها إن هذه القضايا الثلاث التى يقول بها اليهود وهى انكارهم للنسخ ، وقولهم بأن موسى صرح بأبدية رسالته وبأنه خاتم الأنبياء ، وقول العيسوية منهم إنه رسول للعرب فقط :

هذه القضايا وغيرها والتى أريد بها التشكيك فى رسالته عليه الصلاة

والسلام ، ذكرها المتكلمون فى كتبهم وناقشوها باسهاب وبينوا فساد مايقوله اليهود :

ومن أراد الوقوف على المناقشات فليراجع على سبيل المثال التمهيد للباقلانى ، والارشاد للجوينى والمطالب العالية للفخر الرازى ، والمغنى وشرح الأصول الخمسة لعبد الجبار ، وتبصرة الأدلة لأبى المعين النسفى ، والمواقف للإيجى مع شرحه للسيد الشريف ، وشرح المقاصد لسعد الدين التفتازانى إلخ

واستكمالا للفائدة فقط نقول إن النسخ ليس بمستحيل بل هو جائز واليهود يعرفون ذلك ، فهم يعرفون جيداً إن آدم عليه السلام زوج بناته بنيه مع المخالفة فى البطون . وجاء موسى عليه السلام بشريعته التى تمنع زواج الأخت من أخيها . أى أنه نسخ بعض ماجاء فى شريعة آدم .

ولقد كان من الجائز الجمع بين الاختين فى شرع يعقوب ونسخ موسى عليه السلام هذا الجمع أى حرمه ، يقول القاضى عبد الجبار (يقال لهم أى لليهود القائلين باستحالة النسخ — ماقولكم فى شريعة موسى هل نسخت ماقبلها من الشرائع أو لا ؟ فإن قالوا لا بل لم يأت موسى إلا بما قد أتى به الأنبياء قبله . قلنا كيف يمكنكم ذلك وقد علمتم أن آدم عليه السلام زوج بناته من بنيه ، وقد حظره موسى ، وكذلك اختتن إبراهيم عليه السلام فى الكبر ، وأوجبه موسى فى الصغر ، وجاز الجمع بين اختين فى شرع يعقوب ولم يجز فى شرع موسى عليه السلام)(١)

النسخ إذاً جائز وهو لمصلحة تعود إلى الخلق وليس إلى الخالق سبحانه وتعالى إذ أنه منزه عن الغرض ،

---

(١) شرح الأصول الخمسة ص ٥٧٩

والناس يخلف بعضهم بعضاً مع مرور الزمن : وتتجدد أغراضهم وتتعدد فى كل جيل من الأجيال ، فما يناسب من جاءوا من صلب آدم بعد خلقه لا يناسب الذين عاشوا فى عصر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهكذا

فالإنسانية فى طفولتها غيرها فى القرن الخامس عشر الهجرى : وما يناسبها فى طفولتها قد لا يتناسب معها الآن ،

ولقد علم الله سبحانه وتعالى ذلك أزلا وقضى بحكمته عز وجل أن يتتابع إرسال الرسل يقول سبحانه (ثم أرسلنا رسلنا تترى)(١) ومع كل رسول يأتى كان المشرع ينزل من التشريعات التى تتناسب مع الخلق فى وقتها يقول سبحانه [وأن من أمة إلا خلا فيها نذير](٢)

لقد خلق الله سبحانه وتعالى البشر ، وأرسل لهم الرسل . وعلم بعلمه الأزلى الشامل ما يصلح لكل فترة من الفترات ، وعلم أن البشرية ستصل بقدرته عز وجل إلى دورة الكمال الاستعدادى فى وقت كذا . وقضت حكمته عز وجل أن يرسل مع مجيء هذه الدورة الرسول الخاتم والمتمم والمهيمن والناسخ لبعض الأحكام التى سبقته محمداً ﷺ .

فلا تجدد فى علمه إذاً ولا بداء . فهو عالم بالمعدوم الذى سيظل فى العدم معدوما ، وبالمعدوم الذى سيتحول إلى موجود متى سيدخل الوجود ، وكيف يكون ؛ ، وماذا سيلازمه ، وإلى متى يستمر ، ومتى يخرج من دائرة الوجود إلى العدم .

التجدد الحادث إذاً ليس فى علمه فقد علم أزلا كل شىء ، وإنما التجدد فى الأحكام الشرعية التى تتناسب مع كل جيل ، وهو سبحانه وحده يعلم

---

(١) سورة المؤمنون من الآية ٤٤
(٢) سورة فاطر من الآية ٢٤

بها قبل أن تكون ومع كونها وإلى متى ستستمر ومتى سيبدلها بأحكام أخرى أو يلغى أو ينسخ بعضها ويبقى البعض الآخر لتكون متناسبة مع القابلين للتلقى والتنفيذ :

ونلخص ماقلناه فى أن النسخ جائز وهو لغرض ومصلحة تعود إلى البشر، ولا جهل ولا بداء لشمول علمه الأزلى سبحانه وتعالى لكل ما مايحدث فى الكون. إذ هو يحدث بأمره كن فيكون، وبمشيئته ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن،

أما قولهم بأن موسى صرح بدوام رسالته فيكذبه واقعهم، فقد كانوا يتوقعون نزول نبى. وكانوا يرددون ذلك وينتظرونه لينصرهم على أعدائهم. وهذا التوقع فى حد ذاته ينقض القول بالدوام والأبدية للرسالة والقول بأنه خاتم الأنبياء.

ولو أن موسى — عليه السلام — قال هذا الكلام لنقل بالتواتر، ولما خفى على أحد، ولكان أولى الناس باظهاره أولئك اليهود الذين عاشوا وعاصروا البعثة المحمدية.

يقول الغزالى [إن هذه الشبهة إنما لقنوها بعد بعثة نبينا ﷺ وبعد وفاته ولو كانت صحيحة لاحتج اليهود بها](١)

والكلام بدوام رسالة موسى وبأنه خاتم الأنبياء هو من اختلاق زنديق اسمه أحمد بن يحيى بن اسحاق والمشهور بابن الراوندى والمتوفى ٢٩٣ ه.

أراد هذا الزنديق إن يشكك فى الإسلام وفى نبى الإسلام فاختلق

---

(١) الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١٧٤

هذا الكلام الذى يكذبه الواقع التاريخى وواقع الأنبياء عليهم جميعاً السلام .

ويبقى معنا العيسوية وهم أتباع رجل يسمى أبو عيسى اسحاق بن يعقوب ادعى النبوة فى عصر الدولة العباسية وقال بأنه مبعوث ليخلص اليهود مما هم فيه يقول الجوينى [وذهبت طائفة من اليهود يسمون العيسوية إلى اثبات نبوة محمد ﷺ ولكنهم خصصوا شرعه بالعرب دون من عداهم](١) وهؤلاء يكذبهم اعترافهم بنبوته عليه السلام .

فالأنبياء معصومون عصمة كاملة من كل مايؤدى إلى الشك فيهم . ومن هذا الكل ، الكذب .

ولقد اعترفوا بأنه نبى ، فيلزمهم الاعتراف بعصمته ، كما يلزمهم الاعتراف بأنه صادق فى كل ما ينقله عن الله عز وجل وفى كل ما يقوله ويفعله .

ومن الذى نقله عن الله عز وجل القرآن الكريم ، وفيه من الآيات ما يؤكد أن محمدا ﷺ مبعوث للجميع ، ومن الجميع اليهود والنصارى ، وأن رسالته عامة وأنه خاتم الانبياء والمرسلين .

يقول سبحانه وتعالى « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا »(٢) . والفرقان هو القرآن الكريم وعبده أى عبد الله هو محمد ﷺ ، والعالمين هم كل ما سوى الله تعالى ومنهم الانس فى أى جيل من الاجيال أتى مع مبعثه أو بعد البعثه إلى قيام الساعة .

---

(١) الإرشاد ص ٣٣٨ إمام الحرمين الجوينى
(٢) سورة الفرقان الآية ١

ومنهم أيضا الجن: ويقول سبحانه وتعالى لرسوله « قل ياايها الناس إنى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون »(١).

ومن اقواله عليه السلام قوله للعرب « أنا رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة »(٢)، وقوله عليه الصلاة والسلام « والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار »(٣).

ومن أفعاله أنه ﷺ دعا اليهود والنصارى للدخول فى الإسلام، لأنه مأمور بتبليغ الرسالة إلى الجميع — وأرسل إلى ملوك وقياصرة العالم يدعوهم إلى الدخول فى الإسلام.

يقول الغزالى (إنهم اعترفوا بكونه رسولا حقاً، ومعلوم أن الرسول لا يكذب. وقد ادعى هو أنه رسول مبعوث إلى الثقلين وبعث رسله إلى كسرى وقيصر وسائر ملوك العجم وتواتر ذلك منه فما قالوه محال متناقض)(٤) فإذا كان العيسوية مصدقين حقاً بأنه رسول فيلزمهم أن يتراجعوا عن قولهم بخصوصية رسالة محمد ﷺ. ويؤمنوا بأنه مبعوث للناس عامة وللناس كافة:

أما إذا كان الهدف من قولهم هو التشكيك فى عموم رسالته وفى رسالته

---

(١) سورة الإعراف الآية ١٥٨
(٢) رواه البخارى
(٣) رواه مسلم
(٤) الاقتصاد ص ١٧٢

كل ، فليخلعوا القناع ولينضموا إلى اخوانهم المشككين الضالين .

هذا ولليهود دورهم الخطير فى بث الاسرائيليات فى التفسير والحديث .

كما أن لهم دورهم فى الإنشاء والترويج للتيــارات الالحادية ، والاتجاهات الفوضوية الاباحية ، التى تفسد الضمائر ، وتقتلع الأخلاق الفاضلة ، وتشكك فى العقائد الصحيحة ، وتنشر الفرقة والصراع والأحقاد بين الناس ، وتكثف من ضباب الأنانية والكراهية :

وماذكرناه هو مجرد سطور من مواقف رهيبة لليهود ، تؤكد دورهم الضالع فى الغزو الفكرى للشعوب وبخاصة الشعوب الإسلامية .

البعد الاستشراقى

ا — الاستشراق والمستشرقون

ب — مدارس الاستشراق

ج — مجالات عمل المستشرقين

د — أهم مايتميز به المستشرقون

ه — بعض اهداف الاستشراق

و — منهج المستشرقين فى دراسة الاسلام

البعد الاستشراقى

للاستشراق دوره الخطير فى الغزو الفكرى ، وبخاصة فى البيئة التى يتعامل معها وهى فى الغالب بيئة المتعلمين والمثقفين .

وللتعرف على هذا الدور يلزمنا أن نعرف فى إيجاز معنى الاستشراق والمستشرقين ، وأهم مدارسهم والمجالات التى يعملون فيها ، وأهم أهدافهم ، ومنهج البحث عندهم وبعض سماتهم ، وأثرهم على الفكر الإسلامى .

الاستشراق والمستشرقون :

(أ) يقصد بالاستشراق الدراسات التى يقوم بها غير الشرقيين وهم فى الغالب من الأوربيين لكل مايتصل بالشرق من أديان وثقافات ولغات وعادات وتضاريس وموارد ، بهدف التعرف على كل مايتصل بهذه الظواهر من سلبيات وإيجابيات .

ويدخل الإسلام والمسلمون ضمناً فى هذا التعريف .

ويحدد البعض الاستشراق بأنه الدراسات التى يقوم بها غير الشرقيين لكل مايتصل بالإسلام والدول الإسلامية وبالتالى تقدم هذه الدراسات لخدمة التبشير من جهة والاستعمار العسكرى من جهة ثانية وبقية قوى الغزو الفكرى من جهة أخرى .

ويمكننا أن نقول إن للاستشراق أكبر الأثر فى صياغة التصورات الأوربية عن الإسلام ، وفى تشكيل مواقف الغرب إزاء الإسلام على مدى قرون عديدة ، ولايزال الأوربيون حتى اليوم يستقون معلوماتهم

عن الإسلام من كتابات المختصين فى هذا المجال من الأوربيين وهؤلاء هم بطبيعة الحال من طبقة المستشرقين](١).

والمستشرقون هم أولئك الغربيون أو غير الشرقيين الذين يقومون بدراسة كل ما يتصل بالشرق وبالأخص الشرق الإسلامى ، ومن هؤلاء من يدين باليهودية ، ومنهم من يدين بالمسيحية كما أن منهم من لا يعترف إلا بالإلحاد.

ولا يعرف بالضبط متى بدأت الدراسات الاستشراقية لكن مما يذكر أن من طلائع المستشرقين [الراهب الفرنسى جربرت الذى انتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩م بعد تعلمه فى معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده ، و « بطرس المحترم ١٠٩٢ — ١١٥٦ و « جيراردى كريمون ١١١٤ — ١١٨٧](٢).

وتتابعت فيما بعد الدراسات المنظمة لكل ما يتصل بالشرق ، وقد عقد أول مؤتمر المستشرقين فى باريس سنة ١٨٧٣ ثم توالى انعقاد المؤتمرات الاستشراقية التى يلقى فيها المحاضرات عن الشرق وأديانه وحضاراته(٣).

(ب) مدارس الاستشراق :

وللاستشراق مدارسه والتى يمكن تحديدها فى ثلاث وهى : المدرسة المسيحية والمدرسة اليهودية والمدرسة الإلحادية.

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية ص ١٤ د. محمود زقزوق.

(٢) الاستشراق والمستشرقون ص ١٤ د. مصطفى السباعى ط. الثانية ١٩٧٩

(٣) نفس المرجع ص١٥

ولكل مدرسة أهدافها ووسائلها الخاصة ، إلا أن الأهـــداف والوسائل تتداخل لتخدم كلها هدفاً واحداً للجميع وهو القضاء على الإسلام والمسلمين .

وتقوم المدرسة المسيحية بتقديم الدراسات التى تخدم الاستعمار الأوربى ، وتساعد على نهضة أوربا وفى نفس الوقت تساعد المبشرين فى عملهم لنشر المسيحية بين المسلمين أوعلى الأقل إخراجهم من الإسلام .

أما المدرسة اليهودية فتعمل على خدمة المخططات لليهودية العالمية .

بينما تعمل المدرسة الإلحادية على التشكيك فى الأديان ، ونشر الإلحاد وإقامة الحياة على مفاهيم مادية(١) .

(جـ) مجالات عمل المستشرقين :

تتعدد مجالات عمل المستشرقين لتشمل تقريباً كل مناحى الفكر والثقافة ، ومن هذه المجالات .

١ — مجال تحقيق المخطوطات. فقد واصلوا التنقيب عنها فى كل مكان، وقاموا بجمع الكثير منها بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة ، ثم قاموا بتبويبها وفهرستها وتنظيمها ، وتحقيقها تحقيقاً علمياً دقيقاً ، يشتمل على مقابلة المخطوطات للمخطوطة الواحدة ، وذكر المفارقات ، والتأكد من سلامة النص ، وشرح ماغمض فيه ، وعمل مقدمة للمخطوطة موضوع التحقيق ، تتناول الخطوط العريضة لما فيها من أفكار ، مع مقارنتها بأفكار أخرى فى نفس الموضوع ، ثم عمل فهارس تفصيلية لما اشتملت عليه المخطوطة من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأعلام وأماكن وشعر وحكم وأمثال وغير ذلك .

(١) أجنحة المكر الثلاثة ص ١٢٤ عبد الرحمن حبنكة .

ومن أمثلة من قام بالتحقيق قيام المستشرق ستورى بنشر الفاخر للمفضل الضبي، وتذيله له بفهارس للشعراء والرجال والأمثال والقوافي .

وقيام دى خويه بتحقيق تاريخ الرسل والملوك للطبرى . وحقق مرجليوث معجم الأدباء لياقوت . وكتاب المواقف ثم كتاب المخاطبات للنفرى قام بتحقيقهما المستشرق آربرى .

وقام كورتون الإنجليزى بنشر الملل والنحل للشهرستانى . وعمدة عقيدة أهل السنة والجماعة، وكنز الدقائق للحافظ النسفى .

[وكثيراً ما كانوا يتعاونون فى هذا كما حدث فى كتاب فتوح البلدان للبلاذرى ... وكتاب الطبقات الكبير لابن سعد](١) .

٢ — مجال الترجمة . فى هذا المجال قام الكثير من المستشرقين بترجمة بعض كتب التراث الإسلامى والعربى إلى لغات عدة مثـــل الإنجليزية والفرنسية والأسبانية والإيطالية والألمانية . وقد ترجموا إلى الفرنسية وحدها وحتى عام ١٩٥٩ عدداً من الكتب يزيد عن ألفين وخمسمائة والهدف هو إرساء النهضة الأوربية عليها .

ومن الكتب التى ترجمت كتاب القانون فى الطب لابن سينا قام بترجمته جيراردى كريمونا وترجم المستشرق فاتيه عجائب المقدور فى أخبار تيمور لابن عرب شاه، وعلم المنطق والأمراض العقلية لابن سينا . وخلاصة الكلام فى تأويل الأحلام(٢) .

وما أذكره هو مجرد عينات أما الواقع فيؤكد أنهم قاموا بترجمة

---

(١) المستشرقون ج٣ ص٣٩٢ وما بعدها نجيب العقيقى دار المعارف ط٤
(٢) المستشرقون ج٣ ص ٤٣٠

عشرات الآلاف من أمهات الكتب الإسلامية والعربية إلى العديد من لغاتهم . وكان الهدف هو الاطلاع والاستفادة من العلوم الإسلامية ومعرفة أسرار نهضة المسلمين . ومحاولة إعادة البناء الأوربى على أسس علمية صحيحة مستمدة من حضارة الإسلام .

وقد ساعد على فهمهم للتراث الإسلامى معرفتهم باللغة العربية وكثير من اللغات القديمة ، وقد ساعدتهم هذه المعرفة أيضاً على وضع المعاجم اللغوية مثل المعجم العربى لوليم بدويل فى سبع مجلدات .

٣ — كما أن لهم دوراً كبيراً فى مجال الآداب ويعد بروكلمان من أبرز من عمل فى هذا المجال وكتابه تاريخ الأدب العربى خير شاهد على ذلك . ولنيكولسن الأدب العربى فى ضوء التاريخ السياسى والعمرانى للإسلام، ولقد كان السير هاملتون جيب من أعضاء المجمع العربى بدمشق ، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وكان يكتب العربية كأدبائها وهو صاحب كتاب المدخل إلى تاريخ الأدب العربى .

ولم تقتصر اهتمامات المستشرقين على ترجمة الكتب بل امتدت أيديهم لترجمة القرآن الكريم حيث قام روبوت أوف تشستر بترجمته إلى اللاتينية لأول مرة ثم ترجمه مرة ثانية المستشرق جيرمانوس سنة ١٦٦٨ .

ثم تتابعت ترجماتهم للقرآن الكريم وقدم برانكى المستشرق الإيطالى ترجمة حرفية للقرآن سنة ١٩١٣ وقام فلايشر الألمانى بترجمة تفسير البيضاوى للقرآن الكريم سنة ١٨٤٦ .

٤ — وفى مجال التأليف عن حياة النبى ﷺ كتب المستشرقون الكثير وعلى رأسهم درمنجهام فقد كتب حياة محمد كما كتب السير وليم موير سيرة النبى والتاريخ الإسلامى فى أربعة أجزاء ومونتجمرى محمد ﷺ فى مكة وردنسون محمد وعلم الاجتماع وفايل النبى محمد فى حياته ودينه وهو كتاب فى ثلاثة مجلدات .

كما قام المستشرقون بدراسة كتب الحديث الشريف دراسة تتناول المتن والسند، ووضعوا المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ونشروا الكثير من كتب السنة مثل تاريخ الحديث فى الإسلام لفريد كانتول سميث ومدخل إلى علم الحديث لألفريد جيوم .

وحول الإسلام كتبوا كتبا كثيرة نذكر منها كتاب العقيدة الإسلامية وتطورها التاريخى لو نسنك ، وأسماء الله الحسنى ومصادرها الشرقيـة لإليس ، والدعوة الإسلامية والعقيدة الإسلامية للسير توماس أرنولد ، وملاحظات على الجبرية والقدرية فى الإسلام لجيوم .

وفى مجال الفلسفة الإسلامية وعـلم الكلام والتصوف والفرق ، تحركوا بذكاء وقدرة على الجمع والهضم ثم الإخراج ، ونذكر امثلة بسيطة لما قدموه فى هذا المجال .

فقد كتب كارلو نللينو عقيدة المعتزلة والفلسفة الاشراقية لابن سينا ، وكتب شمولديرس مبادىء الفلسفة للفارابى متنا وترجمة لاتينية ، وكتب ديتريش دراسة العرب للطبيعة والفلسفة الطبيعية فى ضوء رسائل إخوان الصفا ، ودنيجـا تاريخ فلاسفة المسلمين وفقهائهم من عام ٦٣٢ إلى عام ١٣٥٨ م .

كما كتب كارادى فو الغزالى وحكمة الاشراق ، وابن سينا ، وماسينيون تاريخ أليف رسائل إخوان الصفا ، وآسين بلاسيوس الغزالى ، وابن رشد ، وابن مسرة ، وابن حزم ، وماكدونالد علم الكلام فى الإسلام وعقيدة الوحى فى الإسلام ، ونكولسن ، التصوف الإسلامى ، ومارجريت سميث المحاسبى متصوف بغداد .

وقد كان لهم كتابات عدة عن حضارة الإسلام ، وأكاد أقول إنهم

كتبوا فى كل ما يتصل بالإسلام والمسلمين .

٥ — وفى مجال التدريس الجامعى نشط المستشرقون حيث انشأوا أقساما للدراسات الإسلامية والعربية [تقوم بمهمة التدريس الجامعى وتعليم العربية وتخريج الدارسين فى أقسام الماجستير والدكتوراه ممن سيواصلون أعمالهم فى المجال الاستشراقى الأكاديمى أو غيره من مجالات أخرى فى السلك الدبلوماسى ..... أو فى مراكز البحوث المهتمة بالشرق](١) .

كما يقومون بالتدريس للعديد من الأبناء المسلمين النابهين الذين ترسلهم بلادهم إلى بعثات علمية للحصول على الليسانس والماجستير والدكتوراه .

كما يقوم الأساتذة المستشرقون بالتدريس فى البعثات الإسلامية أو القاء محاضرات أو عمل ندوات وذلك بناء على دعوات توجه إليهم من الدول المضيفة .

ويقومون بالكتابة فى الحوليات الجامعية وحضور المؤتمرات العلمية التى يلقون فيها أبحاثهم .

وهكذا تتعدد أنشطة المستشرقين بما يساعدهم على فهم كل شىء يتصل بالإسلام والمسلمين ، وعمل أى شىء يريدون عمله إن بالإيجاب وأن بالسلب .

ويوصلهم إلى هدفهم استعدادهم الخاص أو بتعبير أصح تمتعهم بسمات دربوا عليها بحيث اصبحت جزءا من كيانهم وهنا نسأل ماهى هذه السمات ؟

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية ص٥٩ — ٦٠ د / محمود زقزوق

(د) أهم مايتميز به المستشرقون :

لو حاولنا أن نستنطق أو نستقرىء واقع المسلمين فى القرن الخامس عشر الهجرى والذى نعيشه ، لألفينا فى البدء الألفاظ الآتية : السلبية ، — التخلف — الكسل — الجهل — وكلها عوامل تساعد على التقهقر والجمود ، وتدفع بالمسلمين ليكونوا توابع للآخرين ، يرضون بفتات الموائد ويسعدهم أن ينظر إليهم من عل .

لقد كانت السمات السابقة طابعا مميزا للغرب فى فترة ما وبالتحديد فى العصور الوسطى ، لكنهم استطاعوا أن يتعاملوا مع واقعهم فيما بعد بذكاء وأخذ صحيح بالاسباب ، وأن يغييروا ما فى الامكان تغييره ، وأن يتخلصوا من الكثير من السلبيات التى تعوق حركتهم ، وبهذا أهلوا أنفسهم للاندفاع إلى الامام .

وحينما تحركت بهم عجلة الحياة ، لم يركنوا لحركتها ، بل راحوا يدفعونها وبعقلانيه ووعى فى كل المجالات ، ولم يكن الدفع عشوائيا ، بل نتيجة تخطيط ذكى واع صبور .

لقد رأت أوروبا أنها فى حاجة ماسة لمعرفة كل ما يتصل بالشرق الاسلامى ، وكان يمكن أن يستمر مارأته مجرد رغبة أو امنية ، لكنها لم تفعل ، بل أعدت الخطة بذكاء ، واختارت من بين أبنائها من تتوفر فيهم نباهة الذهن ، وسرعة البديهة والقدرة على تحمل الصعاب ، والاستعداد للتعلم والفهم ، والميل للتضحية ، والرغبة فى خدمة قضية الاستشراق .

وأخذت تعلم من تتوفر فيهم مثل هـــذه الصفات اللغات واللهجات المنتشرة بالشرق من كلدانية واشورية وسريانية وعبرية وعربية وفارسية

وتركية بالإضافة إلى الإنجليزية والفرنسية وغيرها من اللغات.

وبهذا التعلم ملك أبناؤها أول سلاح يمكنهم من التعامل مع الآخرين.

ثم قامت أوروبا بتمرينهم الكثير من عادات الشعوب وتقاليدها وأديانها ومكنتهم من توسيع مداركهم بالإطلاع على الثقافات المختلفة وكانت هذه خطوة ثانية على الطريق.

أما الخطوة الثالثة فتتلخص فى تقسيمهم إلى مجموعات تختص كل مجموعة بدراسة جانب واحد، أو جزء من جانب لمجتمع الدراسة مع توفير كل الإمكانيات المادية والمعنوية التى تساعد على مواصلة الطريق.

فمجموعة تقوم بعمل دراسة كاملة لكل ما تتصل بأديان الشرق. وثانية تدرس اللغات والآداب، وثالثة تختص بدراسة التاريخ وهكذا فى كل مناحى المجتمعات الشرقية.

وتقوم كل مجموعة بتقديم الدراسات الوافية والجادة التى تحتاجها أى مجموعة من المجموعات الأخرى.

وبهذا يتحقق التكامل، ويتمكن الكل فى النهاية من رصد كل مايتصل بالمجتمع الشرقى، وبخاصة المجتمع الإســلامى فى ماضيه وحاضره ومستقبله.

ولقد ربى المستشرقون على مقابلة أى معوقات أو معاناة بالصبر والجلد والتحمل من أجل هدفهم الأساسى.

ولو أمعنا النظر فى أعمالهم لألفيناها توضح أنها صدرت عن قدرات خاصة، ورجال تمرسوا على التعامل بصبر وتريث مع كل المشكلات وفى كل الظروف.

ويمكننا بعد هذا أن نوافق نجيب العقيقي في تحديده لأهم الميزات الخاصة بالمستشرقين فيما يلي :

١ — أخذهم بأمهات اللغات ، وتصنيفهم في قواعدها وفقهها ومعاجمها ولهجاتها وتاريخها والـ[illegible] بينها .

٢ — وقد ساعـ[illegible] معرفتهم بلغات عدة على توسيع دائرة ثقافتهم ، والإطلاع بل والتعامل مع التراث الثقافي الإنساني لكل شعوب الأرض .

٣ — انقسامهم إلى فرق تخصصية ، تقوم كل فرقة بالتعامل الجاد مع جانب ما من جوانب الفكر أو اللغة أو الدين .

٤ — قدرتهم على التحمل واستمرارهم الجاد في العمل الشاق [وربما ينقضي عمر أحدهم في تحقيق مخطوط أو تصنيف كتاب فأدموند كاستل قضى في وضع مجمل معجم اللغات السامية ثماني عشرة سنة، يعمل بين ست عشرة وثماني عشرة ساعة في اليوم وبارانوف خص القاموس العربي الروسي بعشرين سنة من عمره](١).

ما قلناه لم نقصد منه مدح المستشرقين، وإنما أردنا أن نعرف بني قومنا بما يتسلح به الذين يحاربون الإسلام وقديماً قالوا من عرف سلم ، وقبل القديم قال القرآن الكريم (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون)(٢).

والإعداد لمن يحاربون الله ورسوله لا يكون بالسلاح فقط وإنما بكل وسيلة تتناسب لمقاومته ،وهم يحاربوننا بالفكر ويتسلحون بما بينا من اسلحة

---

(١) المستشرقون جـ٣ ص٦٠٠

(٢) سورة الأنفال الآية ٦٠

فلا أقل من أن نكون مثلهم حتى نستطيع أن نقاوم ونرد الكلمة بالكلمة، والهجمة الفكرية بالهجمة الفكرية .

ونحن مطالبون بالدعوة إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة وبالجدال الواعي فكيف يتسنى لنا أن نفعل هذا ، إن لم نأخذ بالأسباب كاملة .

إننا إذا تأملنا في السمات التي يتمتع بها المستشرقون، ووضعنا بجوارها مستشرقين من أمثال أربري، والفريد جيوم ، وكارادي فو ، وماسينيون، وجولدسيهر ، وجب وغيرهم .

وعلمنا أن الكثير منهم تعامل مع الإسلام والفكر الإسلامي فهما وتحقيقاً وكتابة وتدريساً في الجامعات والمعاهد العلمية .

وعلمنا أيضاً أن للإستشراق أهدافاً خاصة يرنو إلى تحقيقها في العالم الإسلامي ، وأن الكثير من المستشرقين درسوا وأثروا في عدد ليس بالقليل من المفكرين المسلمين .

إننا إذا تأملنا بروية فيما يحدث لنا وحولنا، سنجد أنفسنا حتما في أشد الحاجة إلى اليقظة الفكرية ، وإلى الفهم العميق ، وإلى تصحيح المسار الإسلامي في كل جنبات حياتنا وبخاصة في الجامعات والتجمعات الثقافية .

وإذا نحن فعلنا ذلك سنكون قادرين بمشيئة الله تعالى على مقاومة الغزو الفكري ورد أصحابه خاسئين .

(هـ) بعض أهداف الإستشراق :

الدافع أو الداعى هو الحافز أو الحرض لعمل ما من الأعمال ، ولقد دخلت أوروبا فى حرب عسكرية صليبية سافرة ضد الإسلام والمسلمين جندت فيها كل قواها ، وكانت تهدف إلى استعمار البلدان الإسلامية والقضاء على الإسلام باستبداله بالمسيحية .

وظلت الحرب قرابة القرنين وهما القرن الثانى عشر والقرن الثالث عشر من الميلاد .

وانتهت حروب أوروبا الصليبية بالهزائم النكراء ، ولم يستطع المحاربون من أبنائها أن يحققوا ما تصبوا إليه قلوبهم، مما دفع بالأوربيين جميعاً إلى الإحساس بالمرارة .

وهذا الإحساس بالمرارة هو الدافع وراء كل تطلعات المستشرقين وما يرنون إلى تحقيقة فى العالم الإسلامى .

إن دوافع الإستشراق متعددة منها الدافع الدينى والدافع السياسى والدافع التجارى والدافع العلمى ،

إلا أن من أبرز هذه الدوافع الدافع الدينى والدافع السياسى ، فالمستشرق ينطلق من خلال خصومة قائمة بين اعتقاده وبين الدين الإسلامى وفكرة راسخة لديه وهى تحقيق الزعامة للمسيحية والإنتصار لكل ماهو مسيحى ، يقول المستشرق الألمانى كارل بيكر (إن هناك عداء من النصرانية للإسلام، بسبب أن الإسلام عندما انتشر فى العصور الوسطى، أقام سداً منيعاً فى وجه انتشار النصرانية ، ثم امتد إلى البلاد التى كانت خاضعة لصولجانها)(١) .

---

(١) التبشير والاستعمار ص ٣٦ د/عمر فروخ وآخر .

كما ينطلق من قناعة بضرورة التعرف على كل الاتجاهات والأفكار والإمكانيات فى العالم الإسلامى، رغبة منه فى توجيهها الوجهة التى تتمشى مع ما يريده الغرب.

ويمكننا بعد هذه المقدمة تحديد بعض الأهداف الإستشراقية فيما يلى : —

١ — محاولة التعرف على كل الجوانب الإيجابية والسلبية فى الشرق الإسلامى، وبالتالى يمكنهم بعد هذا التعرف الإستفادة من الإيجابيات بنقلها إلى عالمهم الغربى، ثم محاولة أضعافها فى العالم الإسلامى.

ومحاولة ابعاد بنى قومهم عن السلبيات، والعمل على تعميقها ونشرها بين أبناء الأمة الإسلامية.

٢ — العمل بشتى الطرق على تنفيذ العبارة الإستعمارية التى تقول فرق تسد، وهذا يتم بإحياء القوميات القديمة والعنصريات التى تدفع بالمجتمع إلى التفكك والصراع، لأنهم يعلمون أن قوة المسلمين فى وحدتهم، وأن البنيان الإسلامى لا يتم له النماء والإنتشار إلا من خلال التعاون والتحاب والإعتصام بدين الله، يقول لورانس براون (إذا اتحد المسلمون فى أمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، وأمكن أن يصبحوا نعمة له أيضا، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا قوة ولا تأثير(١).

٣ — محاولة حجب الإسلام عن بنى قومهم، وتقديمه فى صورة مشوهة منفرة. وأظهاره كدين مصطنع يستخدم العنف فى انتشاره، ويتعامل مع الإنسان كمادة فقط، ويلغى حرية الإنسان وبخاصة المرأة ويدعو إلى التواكل والسلبية، ويورث أتباعه الذل والضعف والتخلف الثقافى والمادى.

---

(١) التبشير والإستعمار ص٣٧

وبهذا العمل والإدعاء الكاذب الذى يتناقض تماما مع واقع الإسلام — يضمنون بقاء المسيحى على مسيحيته ، كما يضمنون ردود أفعال مضادة للإسلام من شعوبهم ومن حكوماتهم .

وأوضح دليل على ذلك ما أثاره كتاب سلمان رشدى — الحاقد على الإسلام والمسلمين — فقد خـــرج الموتورون من الشباب المسيحى فى مظاهرات تهتف ضد الإسلام وتردد عبارات ممجوجة ، وناصرتهم بعض الإذاعات والصحف الأوربية بعمل دعاية لسلمان والدفاع عنه وعنهم باسم الدفاع عن الحرية .

وأصدق دليل أيضاً موقف الولايات المتحدة وهى قوة عظمى فى عالمنا المعاصر حيث تراها شعبا وحكومات متعددة ومتتابعة ، تناصر الصهيونية بكل ما تملك حتى تبقيها قوة مميتة ومضيعة لكل قوى المسلمين ومبددة لأموالهم .

ولا تكتفى بهذا بل تعادى التيار الإسلامى وتعمل فى السر والعلانية على القضاء عليه .

ثم هى تناصر بعض المسلمين على بعض بهدف إضعاف الجميع ، كما هو الحادث بين إيران وبين العراق ، وبين أهل أفغانستان والسودان ، وأريتريا ، والصومال ... إلخ .

٤ — التفانى فى تقديم الدراسات عن الإسلام والمسلمين التى يحتاج إليها التبشير ، حتى يواصل حركته بين الطبقات العاملة والفقيرة وبخاصة الغير مثقفة .

وأيضاً تقديم كل ما يلزم من دراسات للإستعمار العسكرى من أجل المساعدة على نجاحه فى استعمار واستغلال البلدان الإسلامية .

[وأغلب المستشرقين يجمعون بين العمل مع الكنيسة ومع دوائر

الإستعمار في وقت واحد وأبرز هؤلاء. جب. في الاستعمار البريطاني. وماسينون. في الاستعمار الفرنسي. وستوك هرنجو في الاستعمار الهولاندي](١) .

٥ — العمل على نزع الافكار الصحيحة عن الإسلام من العقليـــة الإسلامية ، وزرع أفكار أخرى مكانها بهدف جعل المسلم دائماً في كل سلوكياته يتبع المسيحيين أو اللادينيين [وذلك يتم عن طريق التشكيك في فائدة مافي أيدينا من تراث وما عندنا من عقيدة وقيم](٢) واستبدال ذلك بقيم وأفكار استشراقية يلبسونها الثوب المنهجي ويروجون لها بكل الوسائل .

٦ — تكوين طبقة من المثقفين المعادين لكل ماهو إسلامي بصراحة وظهور في كل المناسبات وفي كل الأجهزة الإعلامية ، أو معاداة مستترة تدس من خلالها الأفكار العلمانية والقيم الاستشراقية وسط أفكار إسلامية صحيحة . ثم العمل على دفع هؤلاء إلى مناصب قيادية ذات تأثير عال في المجتمع الإسلامي .

٧ — تشويه الأصول الإسلامية بالحذف أو الإضافة ، والتشكيك فيها ، وإثارة الشبهات حولها لعزل المسلمين عن جذورهم الأصلية [وهدم المقومات الأساسية للكيان الفـــردي والاجتماعي والنفسي والعقلي للمسلمين](٣) وكذا محاولة إدخال الفكر الإسلامي في الدائرة التي تحول بينه وبين الإنطلاق إلى آفاق أرحب ، وذلك بالإدعاء بأنه فكر محلي تقليدي محدود يخالف حركة الحياة ، والتجني على الإسلام بالقول بأنه

---

(١) الإسلام في وجه التغريب ص ٢٦٨ أنور الجندي .
(٢) الاستشراق والمستشرقون ص ١٧
(٣) الإسلام في وجه التغريب ص ٢٧٦ .

مقلد. يقول نلسون وهو مستشرق مبشر فى نفس الوقت [أن أحسن ما فى الإسلام مأخوذ من النصرانية وسائر ما فيه أخذ من الوثنية كما هو أو مع شيء من التبديل](١) .

٨ — ولا ينسى المستشرقون — وهم يعملون من أجل إحداث البلبلة والتشكيك والتشويه — أن يضعوا أى فكر أو رأى أو حل يطرحه المصلحون الإسلاميون تحت مجهر الدراسة والتحليل [فإن كان خاطئا زادوا فى شحنة خطئه بطريقة أو أخرى ، وإن كان فيه ما يفيد حاولوا كل جهدهم للتقليل من شأنه وتخفيض قيمته حتى لا يفيد ... وكلما لاحت فى العالم الاسلامى اى بادرة ذات مغزى... فان مجهر أولئك الاخصائيين يلتقطها على الفور ليجرى عليها كل طرق التحليل](٢) .

ومتابعة الأفكار الإسلامية التى تطرح فى أى جيل ، وفى أى مجتمع من أخطر أهداف الاستشراق ، لأنها تجعل الفكر الإسلامى دائماً تحت المنظار وتبقيه فى دائرة التغيير لصالح المغيرين .

ما ذكر هو بعض من كل لأهداف المستشرقين ، وليس من غرضنا أن نشوه صورة الاستشراق والمستشرقين فى أعين المسلمين ، وإنما الغرض هو إبراز الجانب الذى يتصل بموضوعنا ، وهو دور المستشرقين فى الغزو الفكرى ، وعملهم المستمر على تشويه كل ما يتصل بالإسلام .

وإذا كان من المستشرقين وهم الكثرة من جعل جل همه العداء للإسلام والمسلمين وإستخدام كل الوسائل لخدمة المسيحية أو اليهودية أو الإلحاد ،فإن هناك من المستشرقين من نزه نفسه عن التعصب والهوى ، وخلص قلبه من الحقد والكراهية ،وأخذ يبحث فى أمانة عن الحقيقة ،

(١) التبشير والاستعمار ص ٤٠
(٢) إنتاج المستشرقين ص ١٩ — ٢٠

ويبحث فى العلم للعلم ، واستهواه التراث الإسلامى فاندفع نحوه بالتحقيق والدراسة ثم راح يقارن فيما بعد بين الإسلام والمسيحية ، وحينما عرف أن الحق فى جانب الإسلام اقتنع به وأنصفه ، وأعلن البعض نتيجة لهذا الإقتناع الدخول فى الإسلام .

ومن أمثال البعض من المستشرقين الذين دخلوا الإسلام [يوكهارت . وكرنكوف . وزونستين . وشنيستر . وجرمانوس .. كما أسلم بعض المستشرقين على يد شيخ الجامع الأزهر مثل الدكتورة وارزولايان الألمانية والتى تسمت باسم سامية الأزهرية ، ومثل الأمريكية خديجة دلانك — والأمريكى ليورس ... ومثل السويسريان جميلة زوسترنج وألبرت كادلر ، ومثل المستشرق البريطانى جونس](١) وغيرهم كثير .

بل إن منهم من دخل الإسلام ثم جعل بقية عمره وقفا للدفاع عن الإسلام والكتابة عنه وسط بنى قومه من الغربيين ، كما فعل المستشرق الفرنسى دينيه والذى تسمى فيما بعد ناصر الدين دينيه فقد ألف بالإشتراك مع عالم جزائرى كتاب عن سيرة سيدنا محمد ﷺ ، وقد عرض فى كتاب له — تحت اسم أشعة خاصة بنور الإسلام أكاذيب بنى قومه على الإسلام ورسوله ورد على هذه الأكاذيب بعقلية واعية وبقلب مؤمن(٢) .

---

(١) المستشرقون والتاريخ الإسلامى ص ١٠٢ على حسن الخربوطلى .
(٢) الاستشراق والمستشرقون ص ٢٥

(و) منهج المستشرقين فى دراسة الإسلام :

يعرف البحث العلمى بأنه التتبع والتقصى والتفتيش الذكى الواعى عن كل ما يتصل بموضوع ما من حقائق ، ثم عرض النتائج بموضوعية مطلقة.

ويشترط فى الباحث مع ذكائه ووعيه وقدرته على الغوص فى الأعماق وسرعة بديهته واستعداده التام للتحليل والتركيب ، يشترط أيضا النزاهة والأمانة والموضوعية ، ويعنى هذا التجرد من الهوى والتعصب والغرور والبعد عن التجريح ، ثم التمتع بالحيدة التامة والاعتماد على المصادر الأصلية مع القدرة على فهمها واستخلاص ما فيها ،

وإذا نحن وضعنا هذه المفاهيم أمامنا ، وحاولنا التعرف على حركة المستشرقين ، وجدنا الدافع للكثير منهم فى دراسة الإسلام وما يتصل بالأمة الإسلامية ، هو الانتصار للمسيحية وخدمة أغراض التبشير والاستعمار .

وهناك دافع آخر يتلخص فى العمل على إختراق العقلية الاسلامية ، بأفكار تشوش القيم الإسلاميـــة ، وتهز الثوابت منها ، وتدفع إلى الإغتراب والتغريب ، ونعنى بالإغتراب إحساس المسلم بغربته عن دينه وقومه ولغته وعاداته وثقافته ونفسه .

كما نعنى بالتغريب دفعه للأخذ بكل ما هو غربى مع تقديسه له وانصرافه عن كل ما هو شرقى مع النفور منه والإحساس بحقارته .

ولكى يضمن المستشرقون استمرار بنى قومهم فى النفور من الإسلام والابتعاد عنه ، ويضمنوا فى نفس الوقت نجاح حركتهم فى الغزو والاختراق، تراهم - رغم معرفتهم للأسس الصحيحة للبحث والمنهج العلمى - يصطنعون منهجا خاصا يسيرون عليه فى التعامل مع كل ما يتصل بالإسلام

ويمكن تحديد نقاط منهجهم المصطنع فيما يلى بإيجاز مع ذكر امثلة لما يقولون ومناقشتها لبيان دورهم فى الغزو الفكرى

١ — تحديد مايريدون قوله عن الإسلام من افتراءات وأكاذيب تحديداً مسبقا . ثم البحث عن أى مصادر أو نصوص — ولكن ضعيفة أو واهية لايعتمد عليها فى مثل الحالة التى يدرسونها — لتأييد مايقولون.

لقد ادعى أو افترض جولد تسيهر أن الحديث الشريف من صنع القرون الثلاثة الأولى ، وليس من قول الرسول ﷺ .

وليؤيد دعواه الكاذبة هذه ، ادعى أن أحكام الشريعة الإسلامية لم تكن معروفة فى الصدر الأول من الإسلام ، وأن الجهل كان لاصقا بكبار الأئمة ،

فأبو حنيفة النعمان والذى نسب إليه المذهب الحنفى فى الفقه لم يكن يعرف هل كانت معركة بدر قبل احد أو كانت أحد قبلها ؟

وقد تجاهل جولد تسيهر بقوله هذا مصدرين أصليين لتلميذين من تلاميذ الإمام أبى حنيفة وهما كتاب الرد على سير الأوزاعى لأبى يوسف وكتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيبانى .

والكتابان يؤكدان إلمام التلاميذ مع استاذهما بتاريخ الغزوات الإسلامية .

لكن غرور ورغبة جولد تسيهر فى الكذب دفعته لتصيد مايؤيد دعواه ، ويتوافق مع غرضه المريض ، من روايات ضعيفة وآراء شاذة من كتب النوادر والفكاهات ، والتى هى فى الغالب إتشتمل على الكثير من التلفيق والتحامل على بعض الأعلام :

ومع ادعائه بأنه يلتزم بالموضوعية والمنهجية (فإنه لايخفى عليه أمر هذين الكتابين ، وكان بامكانه لو أراد الحــــق أن يعرف ماإذا كان أبو حنيفة جاهلا بالسيرة أو عالماً بها من غير أن يلجأ إلى رواية الدميرى

فى الحيوان — والدميرى هذا — ليس مؤرخا وكتابه ليس كتاب فقه ولا تاريخ)(١)

٢ — اتباعهم للهوى . والتعصب للأفكار التى يريدونها . والميل لتشويه الحقائق بالحذف أو الإضافة أو التأويل الخاطىء أو الاعتماد على روايات ساقطة وكذا تحريفهم للنصوص فى كثير من الأحيان تحريفا مقصودا وإساءتهم فهم العبارات حين لا يجدون مجالا للتحريف)(٢)

ومن أمثله التحريف المتعمد ماذهب إليه جولد تسيهر حيث قال : (يقول وكيع عن زياد بن عبد الله البكائى أنه مع شرفه فى الحديث كان كذوبا)

وهذا الكلام يوحى بأن وكيعا يعترف بشرف زياد إلا أنه فى نفس الوقت يقول بأنه كذوب .

والأمر بهذه الصورة جد خطير ، والحقيقة أن جولد تسيهر قام بتحريف النص بهدف التشكيك فى راو ثقة ، وصحة النص كما يذكر الإمام البخارى فى التاريخ الكبير هكذا (وقال ابن عقبة السدوسى عن وكيع وهو — أى زياد بن عبد الله البكائى — أشرف من أن يكذب أى أن صدقه فى رواية الحديث بلغ المرتبة القصوى ، وهو المعبر عنه بأفعل التفضيل أشرف ، بمعنى البعد كل البعد عن الكذب لطبيعته النقية(٣).

---

(١) الاستشراق والمستشرقون صـ ٤٥

(٢) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى صـ ١٨٨ د/ مصطفى السباعى

(٣) المستشرقون والتراث ص ٢٨ د/ عبد العظيم الديب ط ثانية ١٩٨٨

٣ — اتباع أسلوب التمويه والتعمية والميل للتعتيم والتشكيك فيما صح من روايات :

من ذلك مثـلا قول ول ديورانت عن رسول الله — ﷺ — (ولكنه أخذ يضعف حين بلغ التاسعة والخمسين من عمره ، وظن أن يهود خيبر قد دسوا له السم فى اللحم قبل عام من ذلك الوقت فأصبح بعد ذلك الحين عرضة لحميات ونوبات غريبة)(١) .

والذى يهمنا فى هذا الموقف قوله وظن أن يهود خيبر قد دسوا له السم ،... عرضة لحميات ونوبات غريبة

وقول ديورانت يهدف من ورائه إلى ما يلى :

(أ) التشكيك فى كل الروايات التى تؤكد صحة وضع اليهود السم للرسول — ﷺ — ومنها رواية البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أنس ورواية الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده عن ابن عباس ورواية الدارمى فى سننه عن أبى هريرة .

(ب) تبرئة اليهود مما نسب إليهم من وضع السم للرسول فى الطعام مع أن الروايات تؤكد ما فعلوا باعترافهم .

(جـ) الإيحاء بأن الرسول فى هذه الفترة لم يكن معتدل المزاج بل كان عرضة لتقلبات صحية ، وهذا يعنى التشكيك فى كل ما صدر منه فى هذه الفترة من قول أو فعل أو إقرار .

لقد اعترف اليهود صراحة بوضعهم السم للرسول — ﷺ — ورواية الدارمى فى سننه عن أبى هريرة تؤكد هذا (لما فتحنا خيبر أهديت لرسول الله — صلى الله عليـه وسلم — شاة فيها سم ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم ، أجمعوا لى من كان هاهنا من اليهود ،

(١) قصة الحضارة جـ ١٣ صـ ٤٦ .

اجتمعوا له، فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه » ؟ قالوا نعم، قال « هل جعلتم في هذه الشاة سماً » ؟ قالوا نعم. قال: « ما حملكم على ذلك » ؟ قالوا: أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك)(١)

٤ - التركيز على كل ما يؤدي إلى تفتيت الأمة الإسلامية، بإحياء القوميات القديمة، والنعرات العنصرية، والخلافات المذهبية.

والعمل على إبراز الحركات الهدامة مثل حركة القرامطة والقاديانية والبهائية واعتبار أمثال هؤلاء (المنشقين عن الإسلام على الدوام أصحاب فكر ثوري تحرري عقلي)(٢)، والتشكيك في التراث الفكري الصحيح للمسلمين. وتضخيم الأخطاء الصغيرة وإبرازها وكأنها أساس الإسلام

٥ - الاعتماد على الوهم والاستنتاج الخاطيء. فقد توهم ما يورانه أهل البدو كانوا يهتمون بتعلم البلاغة وطلاقة اللسان.

ثم استنتج من ذلك أنه لا يبعد أن يكون النبي ﷺ قد مارس هذا الفن حتى نبغ فيه -

وهو يريد باستنتاجه الخاطيء هذا أن يقول: إن القرآن الكريم من تأليف محمد ﷺ (٣)

ومن الغريب أن الكثير من المستشرقين يقول بأن القرآن الكريم

---

(١) سنن الدارمي جـ ١ صـ ٣٣ دار الفكر

(٢) الاستشراق والخلفية الفكرية ص: ١١٦ دكتور / محمود زقزوق.

(٣) الاستشراق والمستشرقون ص ٤٨

من صنع محمد — صلى الله عليه وسلم — ، ومن هؤلاء جورج سيل الذى يجزم بذلك ، ويجزم أيضا بأنه أى الرسول حصل على معاونة من آخرين .

ولا ندرى حقيقة أى منهج يستخدمه سيل ليصل من خلاله إلى هذه القناعة. اعتقد أنه التعصب والكراهية والافتراء والوهم .

يقول سيل (أما أن محمدا كان فى الحقيقة مؤلف القرآن ، والمخترع الرئيسى له فأمر لا يقبل الجدل ، وإن كان من المرجح مع ذلك أن المعاونة التى حصل عليها من غيره فى خطته هذه لم تكن معاونة يسيرة)(١)

ويدعى بلاشير (أن فكرة تدوين الوحى لم تنشأ إلا بعد إقامة النبى فى المدينة)(٢).

وما يقوله المستشرق مليور هو من نسج خياله ، وليس معه من دليل واحد يؤكد صحة مايقول ، وواقع العرب يكذبه : فلقد كانوا بلغاء فصحاء بطبعهم ، ولم يشتغلوا بتعلم البلاغة ، ولم يعرف عن الرسول قط أنه اشتغل بتعلمها أو أنه درس النثر أو كتب فيه ، أو درس الشعر أو ردده ، ولو فعل ذلك لكان العرب أول من يقولون به ، وأول من يقدمون الدليل على أنه شاعر .

وإذا كان البعض منهم مع بدء الإسلام قد ردد فى الماضى مثل مايقوله هذا المستشرق وغيره ، فإن قولهم كان مجرد ترديد لايقوم على أساس ولا على قناعة عن يردده ، وإنما بسبب الغيظ المسيطر على قلوبهم والحسد الكامن فى داخلهم :

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية صـ٨٣
(٢) نفس المرجع صـ٩٠

لقد قالوا تشكيكا فى القرآن الكريم أنه أساطير الأولين ، وقالوا إن محمدا ساحر وإنه شاعر ، وإنه يأتى بالقرآن من عند نفسه بمعاونة بعض الناس ، وإن أحد النصارى ساعده على كتابة القرآن الكريم وهو بحيرة الراهب — حكى القرآن للكريم هــذه الافتراءات وفندها فى أسلوب موجز بليغ ، وأظهر أنها هراء ، يقول سبحانه وتعالى [وقال الذين كفروا إن هذا إلا أفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا . وقالوا أساطير الأولين أكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا ، قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيما](١) .

ويقول سبحانه [ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين](٢) .

لقد كانوا يعرفون أن محمـــداً أمى لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، ويعرفون أنه لم يقرض الشعر أبداً فى حياته ، ثم جاءهم محمد ﷺ بالقرآن الكريم ، وتحداهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة واحدة من مثله فى البلاغة والفصاحة والبيان . وفى كل ما يتصل بالقرآن من إعجاز ، فعجزوا وهم أصحاب المعلقات .

فلو كان القرآن الكريم من عند محمد ومن تأليفه لاستطاعوا أن يأتوا بما يطالبهم أن يأتوا به ؛ لأن ما يأتى به إنسان من عند نفسه مهما بلغت قدراته ، يستطيع إنسان آخر أن يكون ندا له ، أما إذا كان الأمر من عند الله ، فلا أحد يستطيع أن يدخل فى دائرة التحدى .

---

(١) سورة الفرقان الآيات من ٤ : ٦

(٢) سورة النحل الآية ١٠٣

ولقد حاول مشركوا قريش البلغاء الفصحاء أن يقابلوا التحدى بمثله ، لكنهم باءوا بالخسران .

وعلم الكثير منهم أن القرآن الكريم من عند الله سبحانه ، فأعلنوا إيمانهم .

أما من جمد عقله مثل مايور وجورج سيل وبلاشير ، فبقى على عناده وكذبه يردد الافتراءات دون أى دليل ،

أما عن أدعاء بلاشير فإن وهمه يدفعه إلى تجاهل ما هو ثابت عند الثقات من أن رسول الله ﷺ كانت تنزل عليه الآية أو الآيات فيقرؤها بعد نزولها مباشرة على الصحابة الاطهار فمنهم من مكان يحفظها ومنهم من كان يكتبها ، ومنهم من كان يجمع بين الأمرين .

ولقد إتخذ ﷺ منذ بدء نزول القرآن إلى أن تم النزول كتاباً للوحى فى مقدمتهم الخلفاء الأربعة وزيد بن ثابت وعمرو بن العاص وأبى بن كعب .

٦ — إختيار ما يرونه محققا لأغراضهم وما يتمشى مع هو اهم وإسقاط ماعداه مثال ذلك ما قام به المستشرق جاستون فيت فى كتابه « مجد الإسلام » فقد عرض تاريخ الإسلام من خلال صفحات اختارها بهواه من أقوال المؤرخين .

ولما كان يتعصب منذ البدء لمسيحيته ، ويحقد على الإسلام ، فقد أختار النصوص التى تتمشى مع رغبته ، وتظهر عداءه ، وكراهيته للإسلام والمسلمين(١) .

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية ص ٧٨ د/ محمود زقزوق.

٧ — التمسك بتفسير محدد لبعض الألفاظ العربية ، بهدف إظهار الإسلام بصورة الدين الذى يشجع على العنصرية . وغرس العداء بين العرب المسلمين الفاتحين والأعاجم الداخلين فى الإسلام ، مثل تفسير بروكلمان فى كتابه « تاريخ الشعوب الإسلامية » لكلمة « الرعية » بأنها تعنى القطيع ، وإنصرافه عن المعانى اللغوية الأخرى التى للكلمة حتى يتمكن من إظهار العرب بأنهم قوم متعالون متسيدون على الغير ، بينما الغير هذا من الأعاجم هم قطيع من الأغنام .

يقول بروكلمان [وإذا كان العرب يؤلفون طبقة الحاكمين فقد كان الأعاجم من الجهة الثانية هم الرعية أى القطيع ، وجمعها رعايا كما يدعوهم تشبيه سامى قديم كان مألوفا حتى عند الآشوريين](١) .

وتفسيره للرعية بأنهم القطيع هو أحد التفسيرات الموجودة بالمعاجم اللغوية ، وقد أغفل عن عمد بقية التفسيرات والتى منها كما فى لسان العرب لابن منظور ، الرعية أى العامة . والراعى أى الوالى . وكل من ولى أمر قوم فهو راعيهم وهم رعيته ، وفى الصحاح للجوهرى ، والقاموس المحيط للفيروز ابادى . الراعى كل ولى أمر قوم ، والقوم رعية وراعيته . ومن معانى الراعى الحافظ والقائم بالأمر .

وعلى هذا فإن اللفظة تتسع لتشمل معانى متعددة ، وقصرها على معنى القطيع تحكم لا معنى له ، والسياق هو الذى يحدد المعنى المراد .

والإسلام حينما أطلق اللفظة أراد بالرعية القوم لا الأغنام ، وبالراعى الوالى والحاكم والقائم بأمر الناس والحافظ لشئونهم لا راعى الغنم .

---

(١) الاستشراق والمستشرقون ص ٤٦ نقلا عن تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان .

يروى البخارى ومسلم عن رسول الله ﷺ قوله « الا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالأمام الذى على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهى مسؤولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ، الا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته] .

وينسى بروكلمان أن منطق الإسلام هو المساواة بين الناس جميعاً ، لا فرق بين عربى وأعجمى ولا فرق بين أسود وأبيض ، فالكل أبناء آدم ، وآدم مخلوق من تراب — وميزان الحق بين الجميع هو التقوى يقول سبحانه وتعالى [يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير](١).

لقد جمع الإسلام بين العرب والفرس والهنود والأتراك وغيرهم من جميع بقاع العالم — كما جمع بين اشراف قريش كأبى بكر وعمر وعلى وعثمان ، ووضع فى صفهم سلمان الفارسى وبلالا الحبشى وصهيبا الرومى ولا يعرف عن الإسلام أنه فرق بين مسلم وآخر وإنما جعل الجميع أخوة يقول تعالى [إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون](٢).

٨ — تعمد إسقاط أجزاء كاملة من النص الدينى ، بهدف اعطاء صورة مبتورة مشوهة عن شخص الرسول ﷺ ، وذلك مثل تعمد

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣

(٢) « « « ١٠

المستشرق مرجليوث ذكر حديث رسول الله ﷺ الآتى بهذه الطريقة يقول عليه السلام [إنما حبب الى من الدنيا النساء والطيب] وبقية الحديث [وجعلت قرة عينى فى الصلاة] فهو يذكر القسم الأول فقط ويتجاهل القسم الثانى من الحديث ، حتى يظهر للقارىء صورة مشوهة لشخص الرسول تتمثل فى شغفة بالطيب والنساء أى فى إهتمامه بالدنيا دون الآخرة(١) .

٩ — الكذب على الإسلام ، والإدعاء بأنه لم ينتشر إلا بالسيف ، وأن حركة السيف فى الإسلام كانت حركة همجية متوحشة لم تراع حرمة لطفل أو شيخ هرم أو امرأة ، كما أنها دمرت الزرع والضرع .

يقول المونسنيور كولى فى كتابه « البحث عن الدين الحق » [فى القرن السابع للميلاد برز فى الشرق عدو جديد ذلك هو الإسلام الذى أسس على القوة وقام على أشد أنواع التعصب ، لقد وضع محمد السيف فى أيدى الذين أتبعوه ، وتساهل فى أقدس قوانين الأخلاق . ثم سمح لاتباعه بالفجور والسلب](٢) .

ويقول و.س . نلسون [وأخضع سيف الإسلام أفريقيا وآسيا شعبا بعد شعب](٣) .

ولا نريد أن نستطرد كثيراً فى مناقشة هذه الدعوى فواقع المسلمين

---

(١) الإسلام فى وجه التغريب ص ٣٤٣ أنور الجندى والحديث ذكره أحمد بن حنبل فى مسنده جـ ٣ ص ١٢٨ عن أنس وذكره النسائى فى سننه كتاب عشرة النساء وقيل انما حبب اليه النساء لينقلن عنه مالا يطلع عليه الرجال من احواله ويستحي من ذكره، وقيل زيادة فى الابتلاء فى حقه حتى لا يلهو بما حبب إليه من النساء عما كاف به من آداء الرسالة.

(٢) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ٥٢٨

(٣) نفس المرجع ص ٥٢٩

منذ بعثة محمد ﷺ وحتى يومنا هذا يؤكد أنها دعوى باطلة أساسها الحقد والكراهية والتعصب ضد الإسلام.

ونضع فقط بعض النقاط على الحروف لتستبين الحقيقة.

(أ) الإسلام فى جوهره دين عقلانى مبنى على التدبر والتفكر والاقناع والاقتناع.

(ب) ما بعث محمد ﷺ إلا مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله باذنه وما جاء إلا رحمة للعالمين.

والعقلانية والرحمة لا يتفقان مع الاكراه والتسلط.

(ج) إن الإسلام لم يكن فى يوم من الأيام دينا دمويا ولو كان لما وصل الينا. لقد كانت سماحته ومرونة تعاليمه وثبات عقائده وقيمه العليا هى السبب المباشر فى انتشاره

(د) وبناء على ما سبق نبين أن الإسلام لم يحمل السيف رغبة فى الانتشار أو تعطشا للدماء أو من أجل استغلال ثروات الشعوب أو من أجل إكراه الناس على أقتناعه يقول تعالى [وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين](١).

ويقول عز وجل لرسوله [فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر](٢).

ويبين سبحانه وتعالى أن إيمان الناس واقع كأي شيء تحت قدرته

---

(١) سورة يوسف الآية ١٠٣

(٢) سورة الغاشية الآيتان ٢١ — ٢٢

وبمشيئته يقول عز وجل [ولو شاء ربك لآمن فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين] (١) .

لقد حمل الإسلام السيف دفاعا عن نفسه وتأمينا له من الهجمات الشرسة التى توجه إليه من الأعداء .

ولسنا بحاجة لبيان ما تعرض له الرسول ﷺ من ضغط نفسى وإيذاء جسمانى ليترك دينه ويبتعد عما يدعو إليه .

ولقد تعرض المؤمنون أتباعه ﷺ لمثل ما تعرض له وحوصروا وجوعوا لكى يتركوا ما هم عليه من إيمان بمحمد ورب محمد ، واضطرتهم الضغوط العدائية للهجرة من بلدهم الأمين مكة المكرمة إلى الحبشة ومرة ثانية إلى المدينة المنورة .

والذين يدعـون أن الإسلام انتشر بالسيف يستشهدون بغزوات الرسول ﷺ .

ونحن نطالبهم بالتخلى عن الإلف والعادة والهوى والتعصب ونطالبهم أن يعودوا لدراسة تاريخ الإسلام وبخاصة الغزوات بتجرد كامل وأن يعيشوا مع القرآن الكريم والسنة المطهرة بحياد العالم المدقق .

ولسوف تطالعهم الحقيقـة المشرقة التى تقول [ما على الرسول إلا البلاغ] (٢) وتقول [إن أنت إلا نذير] (٣) وتقول [ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك] (٤) .

---

(١) سورة يونس الآية ٩٩
(٢) سورة المائدة الآية ٩٩
(٣) سورة فاطر الآية ٢٣
(٤) سورة آل عمران الآية ١٥٩

وأمتدادا لهذه الحقيقة نجد القرآن الكريم يقول [لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى] (١).

ويقول [وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر] (٢).

وانطلاقا من هذه الحقيقة يبنى الإسلام علاقته مع جيرانه على المحبة والسلام والتعارف والتآلف والتسامح والاحترام المتبادل.

ويحاول أن يوجه للقيم العليا ولكل ماينفع الإنسان فى دنياه وآخرته.

فإن رضى الجار بهذه المعانى السامية عاش الجميع فى وئام وتعاون يظلهم الأطار العام الذى يقول [لكم دينكم ولى دين] (٣).

أما إذا عمل هذا الجار على المناوئة والعداء وبث الفتن والتدبير للاعتداء على المسلمين، فإن الإسلام لكى يأمن شره يدخل معه فى معاهدات ليحافظ كل جار على جاره، ومعاهدات الرسول ﷺ مع بنى قينقاع وبنى قريظة وبنى النضير وغيرهم خير شاهد على مانقول.

فان استمر الجار فى محاولة العدوان والاندفاع بالكراهية لتفتيت الصفوف وقهر الدعوة الإسلامية، فإن الإسلام يتحرك دفاعا عن نفسه وتأمينا لمستقبله.

ولا تعنى حركته حمل السيف مباشرة، وانما تبدأ هذه الحركة بدعوة هذا الجار المناوىء الى الدخول فى الإسلام، فإن أبى فعليه أن يدفع الجزية، ليكون له ما للمسلمين وعليه ما عليهم.

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٦ (٢) سورة الكهف الآية ٢٩
(٣) سورة الكافرون الآية ٦

فالمسلمون يدفعون الزكاة لبيت المال وتقوم الدولة الإسلامية بحمايتهم وتوفير الأمن لهم .

أما الجار المناوىء فإنه يدفع الجزية وهى أقل بكثير من الزكاة ، وبها يحافظ على نفسه وتوفر له الدولة الإسلامية كل الظروف التى تجعله يمارس حياته بما فيها عباداته الخاصة بحرية مطلقة .

فأن أبى هذا الجار المشاكس الدخول فى الإسلام ، وأبى فى نفس الوقت دفع الجزية ، فإن معنى هذا إصراره على معاداة الإسلام والمسلمين وتفكيره فى القضاء على القيم الإسلامية .

وهذه المراحل الثلاث الدعوة الى الإسلام أو دفع الجزية ثم حمل السيف يعترف بها صراحة المستشرق ول ديورانت رغم تهجمه الواضح على الإسلام فى كثير من كتاباته يقول [ولم يكن الأعداء يخيرون بين الإسلام والسيف بل كان الخيار بين الإسلام والجزية والسيف](١) .

وهنا يحمل الإسلام السيف ليرد الهجمات الموجهة اليه والى قيمه السامية وليبعد الفتنة عن نفسه يقول سبحانه وتعالى [لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم أن الله يحب المقسطين .

إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون](٢) .

---

(١) قصة الحضارة جـ١٣ صـ ٧٣
(٢) سورة الممتحنة الآيتان ٨ : ٩

وعلى هذا فإن الإسلام لم يحارب لمجرد الحرب أو ليفرض نفسه بالاكراه على غيره، ولم يحارب لقهر الناس واستعبادهم واستغلال ثرواتهم.

وانما حمل السيف ليدافع نفسه وعن المقهورين تحت سيطرة الدول الباغية ولؤمن طريقه.

ونذكر أمثلة تطبيقية من واقع الإسلام تؤكد هذا الكلام.

(أ) قبل غزوة بدر تعرض المسلمون الأوائل مع رسولهم ﷺ للتعذيب والتشريد والتجويع والمقاطعة، ولم يكن لهم ذنب الا أنهم قالوا ربنا الله، حتى اضطروا الى الهجرة تاركين كل شيء.

ولم يقنع المشركون بذلك بل راحوا يطاردونهم فى كل مكان، ويعدون العدة للقضاء عليهم وقد انتهزوا فرصة تعرض بعض المسلمين لعير قريش لاسترداد بعض الأموال التى اغتصبت منهم، فانقضوا بعد أن جهزوا جيوشهم لكن الله نصر جنده المسلمين رغم قلة عددهم وعتادهم(١).

(ب) فى غزوة أحد عاد المشركون لينتقموا لقتلاهم وليأخذوا بالثأر من المسلمين بعد الهزيمة التى لحقتهم فى بدر يقول بن هشام [لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب، ورجع فلهم الى مكة، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره، مشى عبد بن أبى ربيعة، وعكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية فى رجال من قريش، ممن أصيب آباؤهم واخوانهم يوم بدر، فكلموا أبا سفيان بن حرب، ومن كانت له فى تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يامعشر قريش، ان محمدا قد وتركم، وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا، ففعلوا](٢).

---

(١) راجع السيرة النبوية لابن هشام جـ ٢ صـ ١٨٢ ومابعدها
(٢) السيرة جـ ٣ صـ ١٤

(حـ) ولقد حارب المسلمون بنى قينقاع — وهم يهود المدينة — لنقضهم العهد مع الرسول وهتكهم حرمة القيم الإسلامية بالاعتداء على سيدة مسلمة يقول ابن هشام قال ابن إسحاق (إن بنى قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ وحاربوا فيما بين بدر واحد)(١).

ويقول أيضاً إن امرأة مسلمة قدمت لصائغ فى سوق بنى قينقاع لتبيع شيئاً فحاولوا — أى اليهود — إقناعها بكشف وجهها ولما أبت عقد الصائغ دون علمها طرف ثوبها فى ظهرها وحينما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا عليها(٢).

ولقد أثار هذا الموقف حمية بعض المسلمين وكان من أهم أسباب الغزوة.

(د) أما بنو النضير فقد تآمروا على قتله ﷺ بإلقاء صخرة عليه وهو فى ديارهم، ونقضوا العهد مع الرسول والمسلمين، فأجلاهم الرسول ﷺ عن المدينة المنورة بسبب ذلك(٣).

(هـ) ولقد كانت دومة الجندل بسبب تصدير القبائل هناك فى الإغارة على المدينة المنورة للقضاء على المسلمين.

فقد جاءت الأخبار إلى رسول الله ﷺ بأن القبائل حول دومة الجندل تتحرك صوب المدينة وتنهب كل شىء فى طريقها وهى تفكر

(١) نفس المرجع جـ ٣ ص ٥
(٢) نفسه جـ ٣ ص ٥
(٣) راجع السيرة النبوية لابن هشام جـ ٣ ص ١٠٨

فى مهاجمة المدينة ، فخرج إليهم الرسول ﷺ على رأس جيش من المسلمين وأجبرهم على الفرار(١) .

(و) وكانت غزوة بنى المصطلق فى السنة الخامسة بسبب مساعدة القوم للمشركين وتجميع الجموع ضد الرسول ﷺ والمسلمين . فقد بلغ الرسول عليه السلام أن الحارس بن ضرار سيد بنى المصطلق قبل إسلامه جمع لحرب الرسول من قدر عليه من قومه ومن العرب(٢) .

(ز) ولقد تحزب اليهود مع المشركين فى عداء سافر وخروج غادر لحرب المسلمين فكانت غزوة الأحزاب أو الخندق والتى كان من نتائجها القضاء بعد انتهائها على يهود بنى قريظة لنقضهم العهد(٣).

(ح) وكانت غزوة مؤته بسبب تعرض شرحبيل بن عمر للحارث ابن عمير رسول رسول الله ﷺ وقتله واستمرار عدائه للمسلمين(٤) .

(ط) وكان السبب المباشر لغزوة خيبر أن أهلها كانوا من أشد المحرضين للمشركين وأكثرهم تدبيرا للمكائد ضد الإسلام .

(ى) أما حرب فارس فلما ارتكبه كسرى بتمزيقه كتاب رسول الله ، ثم كتابته لأميره باليمن قائلا : بلغنى أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبى فسر إليه فاستتبه ، فأن تاب وإلا فابعث إلى برأسه ايكتب إلى الكتاب وهو عبدى .

---

(١) فقه السيرة ص ٣٠٦ الشيخ محمد الغزالى — عالم المعرفة .
(٢) السيرة الحلبية م٢ ص ٥٨٣ على بن برهان الحلبى دار المعرفة .
(٣) راجع السيرة النبوية جـ٣ ص ١٢٧ والسيرة الحلبية م ٢ ص ٦٢٨ ، ص ٦٥٧
(٤) راجع السيرة النبوية جـ ٤ ص٧ وفقه السيرة ص ٣٩٥

وحينما علم الرسول ﷺ بما فعله كسرى قال : مزق كتابى اللهم مزق ملكه كل ممزق ثم نظر إلى أصحابه قائلا . أما أنكم ستملكون أرضه .

وقد تحقق ما قاله الرسول ﷺ بخروج جيش المسلمين لقتال فارس وانتصارهم على الظلم والعدوان .

عن جابر بن سمرة رضى الله عنهما أنه ﷺ قال « لتفتحن عصابة من المسلمين أو المؤمنين أو رهط من أمتى كنوز كسرى التى فى القصر الأبيض فكنت أنا وأبى فيهم)(١) .

(ك) وكانت غزوة تبوك لما بلغ المسلمون أن الروم جمعت الجموع لحربهم والقضاء على الإسلام ، وكان ذلك فى السنة التاسعة من الهجرة النبوية الشريفة لقد (رأى الروم أن يعيدوا الكرة فيضربوا الإسلام فى شبه الجزيرة ضربة ترده من حيث جاء ، وتوصد عليه أبواب الحدود فلا يستطيع التسرب منها . . . وترامت إلى النبى ﷺ فى المدينة أنباء هـــذا الإعداد الماكر . . . فلم ير بدا من استنفار المسلمين لملاقاة هذا العدوان المبيت)(٢) .

وبعد هذه النماذج يلزم كل من يتصور أن الإسلام انتشر بالسيف ، أن يعود بعقلانية وتجرد لدراسة الحرب فى الإسلام ، حتى يتأكد بنفسه أن قوله لا ينبنى على أى أساس صحيح ، بل الأساس هو الوهم والتعصب والخيال الجامح .

فالإسلام فى حقيقته دين السلام والعقل وليس دين الحرب والإكراه والجمود .

---

(١) راجع السيرة الحلبية ج٣ ص٢٩١ وما بعدها.
(٢) راجع فقه السيرة ص ٤٣٦ الشيخ محمد الغزالى .

هو فى الحقيقة يدعو المسلمين إلى اعداد القوة لا للعدوان على الغير، وإنما لأرهاب الذين يفكرون فى العدوان، ومع دعوته للإعداد فإنه يطالب المسلم بمسالمة من يسالمه يقول سبحانه وتعالى (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله)(١).

ويكفى أن نذكر الموقف التالى لرسول الله ﷺ، الذى يؤكد حرص رسول الإسلام على المسالمة، وحقن الدماء، مع توفر القدرة والدواعى على شن الحرب لتأديب العدو.

ويتلخص الموقف فى موافقته ﷺ على صلح الحديبية رغم الشروط القاسية التى وضعهـا الأعداء، وأسلوبهم المتعنت فى كتابة وثيقة الصلح.

أتى سهل بن عمرو وهو من المشركين إلى رسول الله يعرض الصلح فدعا الرسول ﷺ على بن أبى طالب ليكتب الوثيقة، وقال عليه السلام لعلى اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فاعترض سهيل قائلا: لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم.

ونزل الرسول عليه السلام لكلام سهيل، ثم قال الرسول هذا ما صالح عليه محمد رسول الله، فقال سهيل، لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك.

فقال الرسول الكريم لعلى اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو.

لقد كان من الممكن لو أن الإسلام يميل لسفك الدماء، ألا يقبل

---

(١) سورة الأنفال من الآية ٦١

الرسول ﷺ هذا الأسلوب من سهيل، وينهى الصلح من بدايته وبخاصة أنه الجانب الأقوى .

وورد ضمن شروط الصلح أن من أتى محمداً من قريش فعلى محمد أن يرده ، ومن أتى من المسلمين قريشاً ، فلا يلتزم القرشيون برده .

ورغم الاجحاف الشديد في هذا الشرط ، فإن الرسول الكريم ﷺ قبله حفاظاً على أمن الناس وحقناً للدماء(١) .

وعن حروب الردة فإن أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، رأى أن الاسلام طالما أنه لا يكره أحداً على الدخول فيه ، فإن من دخله يجب أن يلتزم به حتى لا يؤدى خروجه إلى فتنة ، كما رأى أن حركة الردة هى حركة تستهدف التشكيك فى الاسلام والعمل على القضاء عليه ، وأنها سابقة خطيرة لم تنشأ من فراغ ، وإنما وراءها الكثير من المشركين والمنافقين واليهود .!

لقد تصور الذين فى قلوبهم مرض أنه بموت محمد ﷺ مات الاسلام، وعليهم أن يتحركوا بسرعة ليأخذوا بزمام الأمر وليعيدوا الناس إلى ما كانوا عليه من تيه وضلال وفساد عقدى وأخلاقى .

وراح هؤلاء يجسون النبض فمنعوا الزكاة، وحرض بعضهم بعضاً فى محاولة للتجمع ضد الاسلام .

وادعى طليحة الأسدى نبوة كاذبة وتبعته بعض القبائل بغباء جهداً ، وكذلك أدعت امرأة متنطعة أسمها سجاح النبوة .

---

(١) راجع السيرة الحلبية م ٢ ص ٧٠٦ وما بعدها ، ونقة السيرة ص ٣٦٠

ثم ادعى من أهل اليمامة كذاب كبير وهو مسيلمة ، النبوة ، وتبعه أيضاً عدد كبير ، وتكون من أتباع هؤلاء المدعين الكذبة جيش كبير تعدى العشرة آلاف .

وكان لابد من وقفة من أبي بكر الصديق — رضى الله عنه — .

فالقضية ليست قضية ارتداد نفر عن الإسلام أو منعهم للزكاة .

وإنما هى فتنة وعصيان وتمرد ، يراد به القضاء على الإسلام والمسلمين .

ولهذا لم يتردد الصديق فى الخروج للدفاع عن الإسلام ، ورد كيد المفسدين إلى نحورهم ، فإذا سكنت الفتنة ، وأمن الناس على أنفسهم من شرها ، وتيقن الجميع أن دين الله لايهادن من يعاديه أو يتلاعب به ، ترك كل شخص ودينه .

إن الإسلام يعطى العهود والمواثيق لأهل الذمة ، ويحافظ دوماً على عهوده ومواثيقه ،

وهو إذ يفعل هذا يعتبر نقض العهد عدوانا عليه ، كما يعتبر الإرتداد عنه عدوانا موجها إلى كل المسلمين .

وحركة السيف فى الإسلام لا تكون إلا للضرورة ، رداً للعدوان الموجه إليه ، أو تأمينا لطريقه من العدوان المبيت له .

وهى دوما حركة أخلاقية يقول سبحانه وتعالى (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين)(١) ويقول عز رجل (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم واتقوا الله وأعلموا أن الله مع المتقين)(٢) .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٩٠ (٢) سورة البقرة الآية ١٩٤

إننى أطالب فى نهاية هذه الوقفة التى طالت رغما عنى — كل مستشرق ادعى أو يدعى أن الاسلام انتشر بالسيف ، وادعى أن حركة السيف فى الاسلام حركة همجية متوحشة لا تبقى ولا تذر .

أطالبه بالتخلى عن الالف والتعصب والهوى والجمود ، والنظر بعقل متجرد فى القرآن الكريم والسنة المطهرة والتاريخ الاسلامى ، ومقارنة ما يخرج به بالحروب الصليبية ، وبما يفعله اليهود عبر تاريخهم الطويل بالبشرية ، بل بما حدث بالأمس القريب فى الحرب العالمية الأولى والثانية من أمم تدعى أنها تحافظ على إنسانية الانسان .

وأطالبه وهو يقارن أن يضع أمامه هذه الوصية التى انقلها من كتاب لمستشرق شغب كثيراً على الإسلام إلا أنه كتب وصية أبى بكر الصديق لجيوشه وهو فى شىء من الدهشة.

يقول ول ديورانت عن جيوش المسلمين (ولكنهم لم يكونوا فى حروبهم همجاً متوحشين — انظر إلى ما أوصاهم به أبو بكر « أوصيكم بعشر فاحفظوها منى لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا أمرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة ، وسوف تمرون باقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منه شيئاً فاذكروا أسم الله عليه ، وتلقون قوماً قد محضوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقا ، اندفعوا باسم الله »(١) .

---

(١) قصة الحضارة ج ١٣ ص٧٢ — ٧٣

ولا تعليق لى فهى شهادة للإسلام وحركة السيف فيه من مستشرق معاد للإسلام .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ﷺ ،

اللهم إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت ، سبحانك ما أعظم شأنك ، تباركت فى علاك ، لا معبود سواك . والحمد لك أولا وآخرا .

أهم المصادر والمراجع

(أ) القرآن الكريم .

(ب) كتب السنة المشرفة منها : البخاري ومسلم والترمذي والنسائي والمسند للامام أحمد بن حنبل وسنن الدارمي .

(ج)

١ ــ أحجار على رقعة الشطرنج ــ وليم كار ــ دار النفائس ط ثالثة سنه ١٩٧٩ م .

٢ ــ الارشاد ــ امام الحرمين الجويني ــ مكتبة الخانجي ط اولى ١٩٥٠ م .

٣ ــ الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ــ د/ محمود حمدى زقزوق ــ كتاب الأمة ط أولى ١٤٠٤ هـ .

٤ ــ الاستشراق والمستشرقون ــ د/ مصطفى السباعي ــ ط ثانية المكتب الاسلامي ١٩٧٩ م .

٥ ــ اسس المادية الديالكتيكية ــ سبركين وياخوت . ت محمد الجندى ــ دار التقدم .

٦ ــ الاسلام فى وجه التغريب ــ أنور الجندى ــ دار الاعتصام

٧ ــ الاسلام والدعوات الهدامة ــ أنور الجندى ــ دار الكتاب اللبنانى بيروت .

٨ ــ أصول الفلسفة الماركسية ــ جورج بوليتزر ت شعبان بركات منشورات المكتبة العصرية بيروت .

٩ ــ أفكار ورجال ــ جرين برنتون ــ ت محمود محمود ط ١٩٦٥

١٠ — الاقتصاد فى الاعتقاد — للامام الغزالى — ت محمد مصطفى أبو العلا مكتبة الجندى .

١١ — انتاج المستشرقين — مالك بن بنى — مكتبة عمار .

١٢ — الله يتجلى فى عصر العلم مجموعة من العلماء الامريكان ت د / الدمرداش سرحان .

١٣ — الانسان فى القرآن الكريم — عباس محمود العقاد — دار نهضة مصر .

١٤ — بروتوكولات حكماء صهيون — ت محمد خليفة التونسى — دار التراث ١٩٧٧ م .

١٥ — تاريخ الخلفاء — جلال الدين السيوطى .

١٦ — التبشير والاستعمار — د / عمر فروخ وآخر — المكتبة العصرية ١٩٨٣ م .

١٧ — تفسير الفخر الرازى — فخر الدين الرازى — دار الفكر ط أولى ١٩٨١ م ،

١٨ — تفسير القرآن العظيم — اسماعيل بن كثير — دار المعرفة بيروت ١٤٠٠ ﻫ .

١٩ — التفسير الوسيط — د / محمد سيد طنطاوى — ط أولى ١٩٧٧ م .

٢٠ — التفكير فريضة اسلامية — عباس محمود العقاد ط بيروت .

٢١ — تيارات الفكر الفلسفى — اندريه كريسون — منشورات عويدات بيروت .

٢٢ — الجامع لاحكام القرآن الكريم — ابو عبد الله محمد الانصارى القرطبى .

٢٣ — الحروب الصليبية بدؤها مع مطلع الاسلام — د/ أحمد شلبي النهضة المصرية .

٢٤ — روح المعانى — الالوسى — دار التراث بالقاهرة .

٢٥ — السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى — د/ مصطفى السباعى المكتب الاسلامى ط ثانية ١٩٧٨ م .

٢٦ — السيرة الحلبية — على بن برهان الدين الحلبى — دار المعرفة بيروت .

٢٧ — السيرة النبوية — أبو محمد عبد الملك بن هشام ط ثالثة ١٩٧٨

٢٨ — شرح الأصول الخمسة — عبد الجبار بن أحمد — م وهبة ط أولى ١٩٦٥ .

٢٩ — الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى — د/ محمد البهى — ط سادسة دار الفكر ١٩٧٣ م .

٣٠ — العهد القديم — دار حلبى للطباعة ١٩٧٠ م .

٣١ — فقه السيرة — الشيخ محمد الغزالى — منشورات عالم المعرفة.

٣٢ — قصة الحضارة — ول ديورانت — ط الدجوى ١٩٧٥ م .

٣٣ — قصة النزاع بين الدين والفلسفة — د/ توفيق الطويل — ط ثانية م مصر .

٣٤ — محاضرات فى النصرانية — الشيخ محمد أبو زهرة — دار الفكر العربى .

٣٥ — مذاهب فكرية معاصرة — الشيخ محمد قطب — دار الشروق ١٩٨٣ م .

٣٦ — المستشرقون — نجيب العقيقى — دار المعارف ط رابعة .

٣٧ — المستشرقون والتاريخ الإسلامى — د/ على حسن الخربوطلى — الهيئة المصرية ١٩٨٨ م .

٣٨ — المستشرقون والتراث — د/ عبد العظيم الديب دار الوفاء ١٩٨٨ م .

٣٩ — المسيحية — د/ أحمد شلبى — ط سادسة مكتبة النهضة المصرية .

٤٠ — معالم تاريخ الانسانية — ه.ج ويلز — ط ثانية لجنة التأليف والترجمة ١٩٦٥ ه .

٤١ — الملل والنحل — الشهرستانى — ت عبد العزيز الوكيل ط الحلبى .

٤٢ — النظرية الماركسية اللينينية — ايرزوين — ت خيرى الضامن دار التقدم .

٤٣ — اليهودية — د/ أحمد شلبى — النهضة المصرية ط خامسة ١٩٧٨ م .

٤٤ — اليهود وراء كل جريمة — وليم كار — الكتاب العربى بيروت ط ثانية ١٩٨٢ م .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



رقم الإيداع بدار الكتب
٩٠٩٤ / ١٩٨٩ م